أولادي

قـــرة عيني

تأليف المربي

الدكتور محمد خير فاطمة

بسم الله الرحمن الرحيم

❖ قال تعالى متحدثاً عن عباد الرحمن:

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان: ٧٤)

وقال ﷻ منبهاً عباده المؤمنين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

(التحريم: ٦)

❖ قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**». ثُمَّ تلا راوي الحديث أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآيَةَ. [أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ]

وقال ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ – قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ – وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**».

[أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر ﷺ]

الإهداء

- إلى المربي الأول، والقدوة المثلى، سيِّدنا محمد ﷺ الذي بلَّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة وأرشدها لما فيه سعادتها في الدنيا والآخرة، وتقدمها في كل مجالات حياتها.
- وإلى كل أب وكل أم، ففي عنق كل منهما أمانة تربية الأبناء.

وإنها لأمانة... وأية أمانة، إنها الأمانة التي ينبغي أداؤها كاملة، وخاصة في هذا العصر العصيب.

فإن أديت كانت خيراً وبركةً وسلامةً، وإن ضيعت عادت على مُضيِّعِها خزياً وحسرةً وندامةً، في هذه الدنيا، ويوم القيامة.

- إلى هؤلاء أهدي كتابي هذا عسى أن يكون لبنة قوية في بناء جيل مسلم بناء قويماً قائماً على هدي كتاب الله، وسنة رسوله وتجربة العلماء الصالحين.
- وبذلك يتحقق للوالدين أملهما في أن يكون أولادهما قرة عين لهما، راجياً من الله القبول ومن المنتفعين الدعاء.

د.محمد خير فاطمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

– الحمد لله رب العالمين الهادي عباده إلى الطريق المستقيم، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ المربي الأول، والداعية الأكبر، والمرشد الأعظم، والقدوة المثلى، والهادي المبين إلى الطريق المستقيم، طريق رضى رب العالمين، طريق سعادة الدارين، والنجاح والفلاح في كل شؤون الحياة، وبعد:

– فإن أعظم عمل في هذا الزمان بل وأشقه، وأصعبه مسلكاً، وأوجبه على الوالدين اللذين يحبان أن يكون أولادهما قرة عين لهما كما في دعاء عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان: ٧٤).

– هو العناية بتربية الأولاد والتهيئة لها من بداية الطريق، من الزواج، ومن قبل الحمل، وأثنائه، وبعده، وإلى أن يبلغ الأولاد السنتين ثم السابعة، ثم الثانية عشرة ثم السابعة عشرة.

– هذه العناية الفائقة والدقيقة من الوالدين يجب ألا يَغْفُلَا عنها لحظة من اللحظات، وأن يسلكا فيها طريق التربية الصحيحة النابعة من القرآن والسنة، عملاً بقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (التحريم: ٦).

- منتبهين لما وضحه النبي ﷺ من أثر التربية البيتية على المولود بقوله: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**».

ثم تلا راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه قوله تعالى: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) الآيَةَ. [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

- منفذين لأمر النبي ﷺ في تحمُّلهما مسؤولية هذه التربية الذي بينها بقوله ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ-: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**».

[أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما]

مدركين أهمية العناية بتربية الأولاد من خلال توجيهات النبي ﷺ في قوله: «**إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاه**». [أخرجه النسائي عن أنس رضي الله عنه]

وقوله ﷺ: «**لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ**».

[أخرجه الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه]

وقوله ﷺ: «**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**».

[أخرجه الترمذي، عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده]

وقوله ﷺ: «**أَكْرِمُوا أَوْلاَدَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ**».

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

ولَئن حفز الرسول ﷺ المسلم إلى هداية الآخرين لما في ذلك من ثواب جزيل فإن هداية الأولاد أفضل عطاء وهدية يقدمها الوالدان لأولادهما قال ﷺ: «**فَوَ اللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**». [أخرجه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه]

- وبما أن الله عز وجل قدر لي فضلاً منه أن أكون مربياً للأجيال منذ ما يقارب الخمسين عاماً، وأن أتخصّصَ في هذه التربية دراسة وعلماً وتعليماً وممارسة عملية.

- وأن أمعن النظر في الواقع المريع في هذا الزمان العصيب، الذي كثرت فيه مسالك الشر فأدت إلى هدم القيم وضياع الأبناء وفسادهم، تلك المسالك التي لا يزال أعداء الإنسانية يجهدون في نشرها، وبوسائل الاتصال الحديثة المتنوعة التي دخلت أعماق البيوت، وتأثر بها أكثر المسلمين -إن لم نقل جميعهم- فأثرت سلباً في تربية الأجيال، بل وأفسدت الأسر، وجعلت الآباء والأمهات ينشغلون عن أهم واجباتهم في تربية أبنائهم، وزاد الأمر سوءاً غياب القيم الأخلاقية من المؤسسات التربوية الحقيقية المساعدة التي كانت تدلي بدلوها في تربية الأجيال كالمدارس والمساجد فندر وجودُ الدعاة، ولم تعد تجد الدعاة الحقيقيين، وخاصة عندما سلبوا وسائل التربية والأنشطة المساعدة في تربية الأجيال.

- كلُّ ذلك دفعني أن أضع بين يدي الآباء والأمهات الغيارى على تربية أبنائهم تربية إسلامية متكاملة كتابي هذا الذي بينت فيه الطريق المستقيم، والأسلوب الحكيم في تربية الأبناء تربية إسلامية متكاملة ليكونوا قرة عين لوالديهم.

-اللهم اجعل هذا الكتاب في صحيفة أعمالي الحسنة، وانفع به هذه الأمة، واجعلنا هادين مهديين ولا تجعلنا ضالين ولا مضلين، ونجّنا يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف:د.محمد خير فاطمة

مسؤولية الوالدين في التربية

أولادنا هم نور عيوننا، وعطر حياتنا ودقات قلوبنا وهم الذكرى الممتدة لنا في الحياة بعد موتنا، نجوع ليشبعوا، ونتعب ليستريحوا، ونسهر لينام وا، ونمرض ليصحوا.

وهم أنس البيت وسكن الأسرة ومعقد آمال الأب والأم.

وقد وصف الشاعر حطان بن المعلى الطائي هذه المشاعر فقال:

وإنمـــــا أولادنـــــا بيننـــــا أكبادنا تمـــشي علـــى الأرض

إن هبّت الريح على بعـــضهم لم تشبع العين مـــن الغمـــض

ولقد بيّن الله ﷻ قيمة الأولاد عند الإنسان بأنهم من زينة الدنيا وشهواتها، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦)

وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤)

ولما كان الأولاد بهذه الأهمية كان على الوالدين أن يتحملا مسؤوليتهما كاملةً في تربية أولادهما حتى لا ينقلب الأولاد إلى هم وغم وحزن ووبال وآلام ينوء بحملها الوالدان وخاصة في هذا الزمان الذي أصبحت التربية فيه من أعقد الأمور، وأصعب الأعمال وأشد المهمات، فقد تكالب على أمتنا أعداء الإسلام من كل حدب وصوب من أجل إفساد هذا الجيل وإبعاده عن دينه وتعاليم شرعه وإفساد عقيدته وأخلاقه، وانغماسه في شهواته وملذاته المحرمة وسوقه إلى أصدقاء السوء وإلى ما لا يحمد عقباه من المحرمات

المهلكات، وذلك بأساليب متعددة وطرق متنوعة ملتوية مما نراه ونسمعه من تأثير المحطات الفضائية الإباحية، والمسلسلات الهدامة، واستخدامات الإنترنت المتعددة في المحرمات، وصولاً إلى الجوالات واستخدامها في تلبية الشهوات.

وأول وآخر من يعاني آثار ذلك السوء هم الوالدان اللذان يفقدان أولادهم بل يصبح الأولاد أعداء وعالة على الوالدين ومجلبة لهمهم وحزنهم، بل وللسمعة السيئة والشنار والدمار، وإضاعة الأموال.

فكان لا بد للوالدين من العناية الفائقة لتربية أولادهم تربية إيمانية متكاملة منذ نعومة أظفارهم ليكونوا سببا في سعادة الوالدين لا شقائهما وذلك بالاهتمام الشديد بمتابعة هذه التربية ساعة فساعة ويوماً فيوماً.

وتبدأ العناية بالأولاد من الطفولة لأنها بغير شك مرحلة البناء وهي أخطر مرحلة في حياة الناشئ، بل وأعقد مرحلة، لأن الطفل يتعرض فيها لأنماط من النمو وأنواع من السلوك تكون نتاجاً لعوامل متعددة جسمية وعقلية ونفسية، لذلك فإن الطفل يحتاج إلى رعاية تامة ليتجه الوجهة الصالحة التي نريدها له، لهذا كان دور التربية من قبل الوالدين لهذا الطفل والملاحظة الدقيقة له في جميع الأحوال وسائر سلوكه دوراً إيجابياً فعالاً، فالطفل في هذه الحالة يشبه إلى حدٍّ ما العجينة اللينة حيث يمكن تشكيله بالطابع الخاص الذي ينشده الوالدان.

وتكون السنوات الأولى من حياة الطفل فترة حاسمة خطيرة في تكوين شخصيته، وتتلخص خطورتها في أن ما يغرس في الأبناء من عادات واتجاهات، وعواطف ومعتقدات يستعصى تغيره أو استئصاله فيما بعد، ومن ثم يبقى أثره ملازماً للفرد في عهد الكبر.

في هذا الموضوع نجد أن النبي ﷺ يحمل الوالدين مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية كاملة فهما المطالبان والمسؤولان عن رعاية أولادهما وتربيتهم وسوف يسألان ويحاسبان عن هذه الرعاية هل أعطيت حقها بالشكل الذي يريده الله ﷻ والذي بينه رسول الله ﷺ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فَالإِمَامُ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِه رَاعٍ، وَهْوَ مَسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهْيَ مَسؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِه رَاعٍ، وَهْوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه**». قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهْوَ مَسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه**». [أخرجه البخاري]

ومعنى مسؤول عن رعيته: مطالب ومحاسب عن قيامه بشؤون من هو تحت رعايته، وفي كنفه في الدنيا، ويوم القيامة.

أهله: زوجته وأولاده ومن تحت رعايته، ممن تجب عليه نفقتهم.

وتبدأ هذه المسؤولية في الرعاية منذ الولادة، فإن الله ﷻ يخلق المولود على الفطرة السليمة التي تتجه نحو دين الإسلام، وتعاليمه لأنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإن أحسن الوالدان التربية ساعد ذالك على استمرار الفطرة في نفس الطفل، وتمكن الدين في أعماقه وأصبح مؤمناً حقاً، وإن قصرا في أداء المهمة، أو أهملاها أثر ذلك سلباً في عقيدة وسلوك هذا المولود، وإن كانا كافرين تبع المولود أبويه بالكفر والملة التي يشاهدهم عليها.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ وأهل بيت الرجل**». ثم تلا راوي الحديث أبو هريرة ﷺ قوله تعالى:

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ الآية. [أخرجه البخاري]

البهيمة: هي كل مخلوق خلا من العقل والتمييز، وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: ١] وهي كل الأنعام من الجمال والأبقار والغنم والماعز وهي المقصودة في هذا الحديث.

الجمعاء: مستوية الخلق وتامة الأعضاء.

الجدعاء: مقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك.

ولقد أمر الله ﷻ الوالدين بتربية الأبناء ومتابعة هذه التربية، وحضهم على ذلك، وحملهم مسؤوليتها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦).

وقد ورد في تفسير الآلوسي لهذه الآية: روى أن عمر ﷺ قال حين نزلت: يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا؟ فقال ﷺ: «**تنهونهنّ عما نهاكم الله عنه وتأمرونهنّ بما أمركم الله به فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار**».

ويتم ذلك بالتوجيه، والنصح، والتعليم، والمراقبة، والتشجيع والمتابعة، ليتمثل في سلوكهم الأخذ بأوامر الله، والانتهاء عما نهى عنه، والتأدب بآداب الإسلام، والتخلق بأخلاقه، والعمل بأحكامه، وتعلم الحلال والحرام، وتجنب المعاصي والآثام، وتعلم الخير والعمل بالطاعات، والبعد عن المنكرات، وسوف

يسأل الله عز وجل الوالدين عن هذه المسؤوليات كما ورد في الحديث السابق، وكما ورد في حديث آخر: «**إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاه**».

[أخرجه النسائي عن أنس]

وإذا كان الإنفاق على الأولاد من أعظم الأعمال كما ورد في الحديث عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «**أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ**». [أخرجه مسلم]

وهذا الإنفاق من أجل تربية الجسد فكيف إذا كان من أجل تربية الروح والإيمان والعقيدة؟

قال رسول الله ﷺ: «**لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ**». [أخرجه الترمذي عن جابر بن سمرة]

وقال أيضاً: «**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**».

[أخرجه الترمذي، عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده]

وإذ حثَّ الرسول ﷺ على هداية الآخرين لما في ذلك من ثواب جزيل فقال: «**فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**». [أخرجه البخاري عن سهل بن سعد]

استطراد: يخطئ كثير من الناس في لفظ (حُمْرُ النَّعَم) وهي التي بمعنى الأنعام الحمراء وهو وصف لأفضل الأنعام وهي الإبل. وَالإِبِلُ الْحُمْرُ أَعَزُّ أَمْوَالِ الْعَرَبِ فَأَخْبَرَ أَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ الأَمْوَالِ النَّفيسَة.

أما لفظ (حُمُرُ): فهي جمع لكلمة حمار فيقال الحُمُر الوحشية [مختار الصحاح].

والنِّعَم هي ما أنعم الله به على الإنسان، فيصبح المعنى خير لك من إنعام الله عليك بالحمر الوحشية.

وبذلك يتغير فهم المراد من قول النبي ﷺ.

فإن الأولاد أحق بالهداية لذلك وجب أن يسعى الوالدان لهدايتهم وتربيتهم ورعايتهم، بل عليهما مراقبتهم، وملازمتهم ومصاحبتهم، والإشراف الكامل على تربيتهم ورعايتهم كما بين ذلك رسول الله ﷺ في قوله: «**أَكْرِمُوا أَوْلاَدَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ**».

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

أي: لا تتركوهم هملاً دون راع أو تتركوهم وتدعوهم لغيركم، لأن الملازمة تغرس فيهم وعلى الدوام، نوازع كريمة وتكون سبباً عملياً في تقويم طبع الولد وخلقه، وتنشئته تنشئة صالحة.

وتحمل مسؤولية التربية ليست خاصة بالرجل دون المرأة فالمرأة أيضاً قائمة على شؤون بيت زوجها وولده ومسؤولة عن رعيتها، بل إن مسؤوليتها أهم وأخطر باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يترعرع ويشب ويبلغ السن التي تؤهله ليكون إنسان الواجب ورجل الحياة.

وعليها أن تتفرغ لتربية أطفالها وأداء واجبها المترلي وألا تنشغل بعمل آخر وخاصة في السنوات الأولى للطفل.

وحتى تتحقق التربية من قبل الوالدين على أكمل وجه وأفضل صورة لابد للوالدين أن يتحقق فيهما صفات متعددة.

ما هي أهم الصفات التربوية للوالدين حتى ينجحا في تربية أولادهما ويحققا آمالهما فيهم ؟

أولاً: القدوة الحسنة في الوالدين:

التقليد والمحاكاة من الوسائل الفطرية الأساسية التي تساعد على تربية الطفل، ويؤكد المنهج الإسلامي على هذه الوسيلة التربوية وذلك من خلال القدوة الحسنة، وبما أن التربية الإسلامية لا تعتمد على العبادات فقط وإنما ترنو إلى تهذيب السلوك، وتقويم الأخلاق، وتثبيت العقيدة فلابد من وجود القدوة الحسنة التي تطبق الإسلام عملياً ليقتدى بها.

قال أحد المربين: (القدوة في التربية هي أفضل الوسائل جميعاً وأقربها إلى النجاح).

والوالدان هما المثل الأعلى في نظر الطفل، والأسوة الصالحة في عين الولد يقلدهما سلوكياً ويحاكيهما فكرياً وأخلاقياً. فإن كان الوالدان على أخلاق إسلامية عالية من الصدق والعفة والأمانة والكرم نشأ الأولاد على ذلك، وإن كانا يتصفان بالكذب والخيانة والتحلل والجبن والبخل والنذالة نشأ الأولاد على ذلك.

قال سيدنا علي كرم الله وجهه: قلب الحدث كالأراضي الخالية، ما ألقي فيها من شيء قبلته، يؤكد ذلك قول الشاعر:

يَنْشَا الصغيرُ على ما كان والده إن الأصول عليها ينبت الشجر

وقول آخر:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوّده أبوه

قال الإمام الغزالي: الولد أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش فيه، ومائل إلى عمل ما يميل إليه، فإن عوّداه الخير نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة.

وهذا يؤيده قول الشاعر:

قد ينفع الأدب الأحداث في صِغَرِ ... وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشب

ولأهمية القدوة الحسنة في الإسلام وأثرها في التربية اختار الله سبحانه وتعالى الرسولﷺ ليكون القدوة الأولى والعليا لجميع المسلمين، والصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١).

ولقد قال رسول الله ﷺ عن نفسه: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**». [ذكره العجلوني في كشف الخفاء وقال: رواه العسكري عن علي رضي الله عنه وسنده ضعيف ولكن معناه صحيح].

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

قال ملك عُمَان: وقد التقى النبيَّ العدنان ﷺ: والله لقد دلني على هذا النبي الأميّ أنه كان لا يأمر بخير إلا كان أول آخذيه، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وإنه يَغلِبُ فلا يبطر، ويُغلَبُ فلا يضجر، ويفي بالعهد والوعد.

وقد تعلم الصحابة الكرام الكثير من أمور دينهم بطلب من رسول الله ﷺ أن يقتدوا به كما أمرهم في الصلاة فقال ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**». [أخرجه البخاري عن مالك بن الحويرث]

ولا ننسى أثر المحاكاة والتقليد عند الصغار فالصبي في مثل هذه السن الصغيرة لا يزن الأمور ولا يقدر مرامي الأعمال وإنما يتصرف ويسلك تحت تأثير المحاكاة الفطرية في النفس ومحاكاة الحركات والأعمال أسبق من محاكاة المعاني والآراء.

قال الخليفة العباسي المأمون: نحن إلى أن نوعظ بالأعمال أحوج منا أن نوعظ بالأقوال.

وللوالدين الأثر في غرس العقيدة والقيم والأخلاق والسلوك في نفوس أبنائهم لذلك يجب عليهما أن يقوما بتوفير الجو الديني والروحي والأخلاقي والسلوكي المطلوب في البيت الذي يعيشان فيه ويتم ذلك بتطبيق الوالدين أوامر الله كاملة، فيرى الطفل ذلك أمام عينيه، فيحاكيهما ويتأسى بهما ويتربى على ذلك.

يا أيها الرجل المعلِّم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل ما وعظتَ ويُقتَدى ... بالعلم منك ويَنفع التعليم

ويجب على الوالدين أن يكونا على وفاق فيما يتعلق بتربية أولادهم وأن يؤدي كل منهما دوره كاملاً بعد أن يكونا على اتفاق فيما بينهما على

طبيعة ونوع القدوة التي سيقدمانها لهم فهما شخصان اثنان إلا أنهما يقدمان نفس الصورة كقدوة واحدة.

فالأم المربية هي التي تساعد أطفالها على احترام والدهم وبره وتجعل له مكانة جليلة في نظرهم فيقبلون على قبول نصحه ويطيعونه فيما يأمرهم به.

أما الأم الجاهلة فقد تستغل طيبة الأب فتساعدهم على التمرد عليه كأن تقول لهم: اعملوا ما شئتم لا يهمكم فلن يؤاخذكم والدكم، وقد تستخف به وتحط من قدره أو تختلف معه أمامهم، فيستهينون بشأن توجيهاته، ولا يستفيدون منها.

وعلى الأب كذلك أن يحترم زوجته ويقدرها وخاصة أمام الأطفال ليقتدوا به في سلوكه ويبث فيهم الحب والاحترام والتقدير وسماع النصح والإرشادات وتطبيقها على أفضل ما يكون.

ويجب على الأب أن يُظهر احترامه لوالديه ويقبل يديهما وينفذ أوامرهما عند ذلك سيقوم أولاده بتقليده واحترامه وتنفيذ أوامره.

الكلمات الطيبة من الوالدين مع الابتسامة وتنظيم الأعمال البيتية وحسن استقبال الآخرين والسلام عليهم مع عدم غيبتهم والسخرية منهم كل ذلك يؤثر في تصرفات الأطفال وسلوكهم وعاداتهم المستقبلية.

ثم إن وجود القدوة الحية في المترل الممثلة بالوالدين يجعل الأولاد يحسون بالأمان والاطمئنان.

أما الآباء الذين يقولون افعل كما أقول لك ولا تفعل كما أفعل فهذا لن يجدي نفعاً في التربية ولن يتربى الطفل على الأخلاق الفاضلة، فالوالد الذي يسب أو يشتم أو يغضب لأتفه الأسباب أو يدخن أو يسهر على الأفلام

والمسلسلات لن يتربى أولاده على الكمال وإن تحدث والدهم بالكمال، وعند ذلك يتحقق قول الشاعر:

إذا كان ربُّ البيتِ بالدفِّ مولعاً فشيمةُ أهلِ البيتِ كُلِّهمُ الرقصُ

هذا ولصلاح الوالدين أثر كبير على نفس الطفل وتربيته، فينشأ على الطاعة والانقياد لله تعالى وهذا ما أكدته الآية الكريمة:

﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ ﴾ (آل عمران: ٣٤).

فإذا ما نشأت الذرية على الطاعة لله والدعوة لدينه كان اللقاء بينهم في جنات الخلد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ ﴾ (الطور: ٢١).

وألحقنا بهم ذريتهم في مترلتهم في الجنة، وإن لم يبلغوا عمل آبائهم؛ لتَقَرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيُجْمَع بينهم على أحسن الأحوال، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم. كل إنسان مرهون بعمله، لا يحمل ذنب غيره من الناس. [التفسير الميسر د. عبد المحسن التركي]

ولصلاح الوالدين أيضاً أثر في رعاية الله وحفظ أولادهما قال تعالى:

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ (الكهف: ٨٢).

قال القرطبي في تفسيره: (ففيه ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بعدوا عنه. وقد روي أن الله تعالى يحفظ الصالح في سبعة من ذريته، وعلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ (الأعراف: ١٩٦)).

قال سعيد بن المسيب لابنه: لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أُحفظ فيك ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢).

كذلك يجب على الوالدين أن يراقبا أعمالهما، وينتبها إلى تصرفاتهما جيداً لأن أولادهما سيفعلون ويحاكون ويطبقون كل ما يرونه أو يسمعونه منهما، ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على مثل هذه الأمور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ**». [أخرجه أحمد في مسنده]

هاك: بمعنى خذ.

وعن عبد الله بن عامر قال: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ**». قَالَتْ أُعْطِيهِ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ**». [أخرجه أبو داود]

وبما أن الأولاد يراقبون سلوك والديهم، فإنهم سيقتدون بهما، فإن كان الوالدين صادقين نشأ الأولاد على الصدق وكذلك باقي الأمور الأخرى وسيقومون بتقليد قدوتهم في جميع أعمالهم.

ومن هذا القبيل ورد في السنة الشريفة أحاديث كثيرة تبين ذلك.

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ. [أخرجه البخاري]

روى عبد الرحمن بن أبي بكرة: قال: (قلتُ لأبي: يا أَبَتِ، أسمعُكَ تقولُ كلَّ غدَاة: اللَّهمَّ عافني في سمعي، اللَّهمَّ عافني في بصري، لا إِلـــهَ إلا أنـــت، تُكرِّرُها ثلاثا حين تُصبح، وثلاثا حين تُمسي، فقال: يا بُنيَّ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يدعو بهنَّ، فأنا أُحِبُّ أن أَستَنَّ بِسُنَّتِه). [أخرجه أبو داود]

وأنس بن مالك الذي دفعته أمه وهو طفل ليخدم رسول الله ﷺ ويتعلم منه استفاد كثيراً من ملازمته لرسول الله ﷺ عن طريق المحاكاة والتقليد له.

قال أبو هريرة ﷺ: (ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سُليم – يعني أنساً) [ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة].

حُكي أن سهل بن عبد الله التستري (وهو من كبار الصالحين) قـــال: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم في الليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمـــد بـــن سوار فقال لي يوماً: يا سهل! ألا تذكر الله الذي خلقك فسواك فعـــدلك؟ فقلت وكيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات الله معي، الله ناظري، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته،

فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته.

فقال: قل في كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي: يا سهل احفظ ما عُلّمت ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلـــك ســـنين، فوجدت لذلك حلاوة في سرّي، ثم قال لي خالي يوما: يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه؟ إيّاك والمعصية.

فهذا درس عملي كبير من دروس التربية والأخلاق قدمه هـــذا المـــربي محمد بن سوار رحمه الله تعالى للأجيال القادمة، في التدرج لتربيـــة الأطفـــال

والذي سجّله التاريخ بقلم من نور، وكان سببا في أن أصبح سهل هذا من كبار الصالحين والأولياء وفحول الرجال.

من هنا نجد أن في فطرة الطفل ميل قوي للمحاكاة والتقليد لمن حوله، وهو عندما يرى والديه يطبقان الفضائل السلوكية، تتولد لديه قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل في متناول القدرات الإنسانية، فيثير ذلك في نفسه الاستحسان والإعجاب، وتهيج في نفسه دوافع الغيرة فيحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به وهذا ما نراه من الأطفال مع صغر سنهم يقومون بتقليد والديهم في الصلاة وغير ذلك مما يرونه منهم.

ثانياً: المحبة والرحمة والمودة للأولاد:

وهي صفة هامة لأنها تبني العلاقة السليمة بين الوالدين والأولاد فينشؤون نشأة سليمة صحيحة.

وهذه الصفة ترتبط بالعاطفة حيث تشكل العاطفة مساحة واسعة في نفس الطفل الناشئ ولها أهمية كبرى في بناء شخصيته، فإن أخذها بشكل متوازن دون إفراط أو تفريط كان إنساناً سوياً في مستقبله وفي حياته كلها، وإن أخذها بغير ذلك سواء بالزيادة أو بالنقصان تتشكل لديه عقد لا تحمد عقباها، فالزيادة تجعله مدللاً لا يعبأ بتكاليف الحياة ولا يقوم لها بجد ونشاط.

ونقصانها يجعله إنساناً قاسياً عنيداً مع كل من حوله، لذلك فإن البناء العاطفي عند الأطفال له أهمية خاصة في بناء الطفل وتكوينه.

وللوالدين الدور الأكبر في البناء العاطفي في أولادهما، لأنهما المصدر الأساسي لأشعة العاطفة عند أولادهما، وهما الركن الرشيد الذي يأوي إليه الطفل لينعم بحرارة العاطفة، ونعمة الأبوة والأمومة.

لذلك أودع الله في قلب الأبوين المشاعر النبيلة والعاطفة الجياشة لينشأ الأطفال نشأة عاطفية كاملة، فقذف في قلبيهما الرحمة بالأولاد والرأفة بهم والعطف عليهم.

وهذا الحنان فطرة فطر الله الناس عليها، يبين النبي ﷺ مرجعها حينما يقول له عمر: (يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُنَا نَرِقُّ عَلَى أَوْلادِنَا وَلا يَرِقُّونَ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**لأَنَّا وَلَدْنَاهُمْ وَلَمْ يَلِدُونَا**»).

هذا وإن الرحمة صفة من صفات الله فنحن نستفتح جميع أعمالنا بقولنا: (بسم الله الرحمن الرحيم)، والرحمة صفة من صفات رسول اللهﷺ بل أرسله الله بها فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وبين له أسلوب النجاح في الدعوة فقال له تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩**﴾.

(آل عمران: ١٥٩)

وكان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالصغار فقد روي عن أنس ﷺ قوله: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ). [أخرجه مسلم]

وعن أسامة بن زيد ﷺ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ «**اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا**». [أخرجه البخاري]

ولقد اهتم رسول الله ﷺ بموضوع الرحمة وحرص على تحلي الكبار بهذا الخلق الكريم والشعور النبيل فقال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**». [أخرجه الترمذي عن أنس]

عن أبي هريرة، قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ ومعه صبي، فجعل يضمه إليه. فقال النبي ﷺ: «**أترحمه؟**»قال: نعم. قال: «**فالله أرحم بك، منك به، وهو أرحم الراحمين**». [أخرجه البخاري]

ومن صورة رحمة النبي ﷺ بالأطفال تعليماً لنا وتوجيهاً ما روي عن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ فَأُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ**». [أخرجه البخاري]

وصورة عظيمة من رحمة رسول الله ﷺ بالأطفال تذكر عبر السنين فقد روى أبو قتادة رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهْوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَلأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا). [أخرجه البخاري]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها فأعطتها عائشة ثلاث تمرات فأعطت كل صبي لها تمرة وأمسكت لنفسها تمرة فأكل الصبيان التمرتين ونظرا إلى أمهما فعمدت إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة فجاء النبي ﷺ فأخبرته عائشة فقال: «**وما يعجبك من ذلك لقد رحمها الله برحمتها صبييها**»). [أخرجه البخاري في الأدب المفرد]

ولقد مدح رسول الله ﷺ نساء قريش باتصافهن بالحنو على الولد والاهتمام به ورعايته فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُو نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ**». [أخرجه البخاري]

ولصفة الرحمة والمودة والمحبة مظاهر كثيرة أظهرها لنا رسول الله ﷺ أذكر منها:

١ً - **تعليمهم إفشاء السلام وحثهم عليه:** لما له من إشعار الطفل بمكانته وتقدير الآخرين له. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ كَانَ النَّبِي ﷺ يَفْعَلُهُ. [أخرجه البخاري]

فينبغي للوالدين المحافظة على إفشاء السلام على أولادهما ومطالبتهما برد السلام وإخبارهم بأنهم يثابون على ذلك، وتحفيظهم قول الله عز وجل: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا** ﴾.

(النساء: ٨٦)

وطريقة رد السلام وثوابها كما علمنا النبي ﷺ فقد روي عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ. فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَشْرٌ**». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «**عِشْرُونَ**». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «**ثَلاَثُونَ**». [أخرجه أبو داود]

وما أجمل رد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها السلام قالت: قال لي رسول الله ﷺ: («**يَا عَائِشَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ**»، فَقَالَتْ وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. تَرَى مَا لاَ أَرَى. تُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ). [أخرجه البخاري]

ولقد كان النبي ﷺ يؤكد على الأولاد إلقاء السلام على الآخرين فقد روى أنس رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ**». [أخرجه الترمذي]

كذلك ينبغي للوالدين تشجيع أولادهما على ابتداء السلام وإلقائه على الآخرين، لا انتظار الناس لتلقي عليهم السلام وذلك لكسب الأجر الكبير الذي ينتظره من يبدأ غيره بالسلام فقد روى أبو أمامة ﷺ قال: قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلاَنِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ فَقَالَ: «**أَوْلاَهُمَا بِاللَّهِ**».

[أخرجه الترمذي]

كذلك ينبغي للوالدين أن ينبها أولادهما من عدم استخدام العبارات التي يتداولها الناس اليوم عوضاً عن السلام، كقولهم: صباح الخير، أو مساء الخير، أو باي، وعدم ترديد ما يشاع عن طريق التلفاز أو يصدر من مصادر أخرى من عبارات بعيدة عن الدين كما نسمع الآن حيث استبدلت عبارة السلام عليكم بعبارة انتشرت بين الناس عن طريق الفكاهة: (سلبناها عليكم).

٢ً – **إظهار محبتهم بتقبيلهم**: لما لها من كبير الدلالة على الحب وما لها من دور فعال في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، وتسكين ثوراته وغضبه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيّ جَالِسًا. فَقَالَ الأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**». [أخرجه البخاري]

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ قَالَ وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُهُمْ. قَالَ: «**لاَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ ﷻ نَزَعَ مِنْكَ الرَّحْمَةَ**». [أخرجه أحمد في مسنده]

ولقد تأثر الصحابة الكرام بقدوتهم الحسنة والمثلى وهو النبي ﷺ في هذه التربية فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يعزل أحد عماله من الولاية لأنه وجد منه دليلاً واضحاً على قسوة قلبه تجاه أولاده فكيف يرحم الناس؟

عن محمد بن سلام قال: استعمل عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً على عمل، فرأى الرجل عمر يقبل صبياً له، فقال الرجل: تقبله وأنت أمير المؤمنين؟ لو كنت أنا ما فعلت؟ قال عمر: فما ذنبي إن كان الله نزع من قلبك الرحمة، إن الله لا يرحم من عباده إلا الرحماء، ونزعه عن عمله وقال: أنت لا ترحم ولدك! فكيف ترحم الناس! [عن محمد بن سلام في كتاب نزهة المجالس]

٣ً – **مسح رأس الطفل وخديه**: لإشعاره بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، الأمر الذي ينمي إحساس الطفل بوجوده وبحنو الآخرين عليه وحبهم له واهتمامهم به.

عن أنس ﷺ قال: (إنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَزُورُ الأَنْصَارَ، وَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ بِرُءُوسِهِمْ ويدعو لهم). [حلية الأولياء]

وعن جابر بن سمرة –وهو من أطفال الصحابة– قال: ((صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّي أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ)). جونة عطار: وعاء يعد ويحرز فيه الطيب. [أخرجه مسلم]

٤ً – **حسن استقبال الطفل**: لإشعاره بأهميته ومكانته واهتمام الآخرين به فعن عبد الله بن جعفر ﷺ قال– وهو من أطفال الصحابة–: (كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر تلقى بنا. قال: فتلقى بي وبالحسن– أو الحسين– فجعل أحدنا، بين يديه والآخر خلفه حتى دخلنا المدينة).

[اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة]

ففي هذا الحديث إشارة واضحة إلى أمر هام في تربية الأطفال ينبغي على الوالدين إتقانه وحسن تدبره وهو حسن استقبال الطفل عند حضوره إلى بيته عند عودته من مدرسته أو من أي مكان آخر، أو عند عودة الوالدين إلى البيت وملاقاتهم لأطفالهم.

٥ً – **تفقد أحوال الطفل**: وذلك بالسؤال عنه وعن جميع أموره الخاصة به حرصاً عليه ومحبة له ولنأخذ مثالاً واضحاً لهذا الأمر من حبيبنا وقدوتنا سيدنا محمد ﷺ فعن سلمان رضي الله عنه: كُنَّا حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه لَقَدْ ضَلَّ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، قَالَ: وَذَلِكَ رَادَّ النَّهَارِ، يَقُولُ: ارْتَفَاعَ النَّهَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**قُومُوا فَاطْلُبُوا ابْنَيَّ**»، قَالَ: وَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ تُجَاهَ وَجْهِه، وَأَخَذْتُ نَحْوَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَتَى سَفْحَ جَبَلٍ، وَإِذَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا مُلْتَزِقٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَإِذَا شُجَاعٌ قَائِمٌ عَلَى ذَنَبِه، يَخْرُجُ مِنْ فِيه شِبْهُ النَّارِ، فَأَسْرَعَ إِلَيْه ﷺ، فَالْتَفَتَ مُخاطِبًا لِرَسُولِ اللَّه ﷺ، ثُمَّ انْسَابَ فَدَخَلَ بَعْضَ الأَحْجِرَةِ، ثُمَّ أَتَاهُمَا فَأَفْرَقَ بَيْنَهُمَا وَمَسَحَ وَجْهَهُمَا، وَقَالَ: «بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتُمَا مَا أَكْرَمَكُمَا عَلَى اللَّه»، ثُمَّ حَمَلَ أَحَدَهُمَا عَلَى عَاتِقِه الأَيْمَنِ، وَالآخَرَ عَلَى عَاتِقِه الأَيْسَرِ، فَقُلْتُ: طُوبَاكُمَا، نِعْمَ الْمَطِيَّةُ مَطِيَّتُكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**وَنِعْمَ الرَّاكِبانِ هُمَا، وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا**». [أخرجه الطبراني في الكبير]

يرشد الحديث إلى أنه ينبغي للوالدين الاهتمام الشديد بحال أطفالهما وتفقد أوضاعهم فيما يخص أصدقاءهم وواجباتهم المدرسية وحالتهم الصحية وطعامهم وشرابهم وملبسهم، ومحاولة إبعادهم عن تأثرهم بالعادات السيئة في المجتمع وملاحظة ما يحيط بهم من أقرباء وأصدقاء.

٦ً – **بذل الهدايا والمكافآت للأطفال**: ومن العناية بالأطفال تعزيزهم بالابتسامة والكلمة الطيبة عند حسن تصرفهم، لما في ذلك من أثر طيب في نفوسهم، ومافيه من تشجيع لهم، وتوثيق ارتباطهم بوالديهم ومربيهم، قال رسول الله ﷺ: «**تَهَادَوْا تَحَابُّوا**». [أخرجه البيهقي عن أبي هريرة]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِأَوَّلِ الثَّمَرِ فَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَفِي ثِمَارِنَا وَفِي مُدِّنَا وَفِي صَاعِنَا بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ** ». ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ. [أخرجه مسلم]

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أهدى النجاشي إلى رسول ﷺ حلقة فيها خاتم ذهب فيه فص حبشي، فأخذه رسول الله ﷺ بعود، وإنه لمعرض عنه، أو ببعض أصابعه، ثم دعا بابنة ابنته أمامة بنت أبي العاص فقال: (**تحلي بهذا يا بنية**). [أخرجه ابن ماجه]

لهذا ينبغي للوالدين الاستفادة من طريقة النبي ﷺ المثلى في التربية، وذلك بتشجيع الأولاد على عمل الخير، وتشجيعهم من خلال الكلمات الطيبة والابتسامات الرقيقة وتعزيزهم بها مع تقديم المكافآت والهدايا الرمزية البسيطة التي تتناسب مع العمل الطيب الذي يظهر منهم.

ليتمسكوا بالأعمال الخيرة وليتنافسوا في تنفيذها والتحلي بها.

وفي هذا الموضوع ما أجمل أن أذكر الشيخ أمين كفتارو والد شيخنا رحمهما الله في اهتمامه بمكافأة الصغار فقد كان إذا حضرت الضيافة من شراب أو طعام بعد أي لقاء مع إخوانه كان يأمر أن يُبدأ بضيافة بالأطفال أولاً ثم باقي الحضور بعد ذلك معللاً ذلك بأن ارتباط الأطفال بالضيافة أكثر من الكبار ويجب أن نبدأ بهم حتى نزيد من حبهم للعلماء ومجالسهم.

٧ً – الرفق بالأولاد عند وقوعهم في خطأ ما: على الوالدين أن يرفقا بأولادهما إن أخطؤوا فالطفل كثيراً ما يقع منه الأخطاء التي لا تتناسب مع التربية الإسلامية وهو لا يعرف خطأه لأنه لا يميز بين الخير والشر وخاصة أنه يلتقط هذه الأخطاء من أقاربه وأصدقائه فينبغي للوالدين حينئذ إرشاد الأولاد إلى الصواب برفق وتبيان الطريقة الصحيحة في هذا السلوك.

روى رافع بن عمر الغفاري ﷺ قال: (كُنْتُ وَأَنَا غُلاَمٌ أَرْمِي نَخْلاً لِلأَنْصَارِ فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيلَ إِنَّ هَا هُنَا غُلاَماً يَرْمِي نَخْلَنَا فَأُتِي بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا غُلاَمُ لِمَ تَرْمِي النَّخْلَ**». قَالَ: قُلْتُ آكُلُ. قَالَ: «**فَلاَ تَرْمِ النَّخْلَ وَكُلْ مَا يَسْقُطُ فِي أَسْافِلِهَا**». ثُمَّ مَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَشْبِعْ بَطْنَهُ**»). [أخرجه البيهقي في سننه]

ومن الصور الرائعة في الرفق بالأطفال ما روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**». [أخرجه مسلم]

وعنها أيضاً رضي الله عنها:«أن النبي ﷺ وضع صبيا في حجره يحنكه فبال عليه فدعا بماء فأتبعه». [أخرجه البخاري]

و لم يظهر النبي تأففاً أو ضيقاً مما حدث.

وليتعلم الوالدان من الصحابية الجليلة أم سليم –وهي أم أنس بن مالك– عنايتها بابنها وملاحظتها لتصرفاته، وحسن تصرفها في معالجة خطئه.

قالت أم سليم وهي تتحدث عن ابنها أنس: كانت له ذؤابة – الشعر المضفور– فأراد أن يَعْجرُها – يلفها على استدارة رأسه– فنهيته وقلت له: كان النبي ﷺ يمدها ويأخذ بها. [ابن الأثير في أسد الغابة]

فقد لاحظت هذه الأم أن ولدها كان يقلد الآخرين بأمر مخالف لسنة النبي ﷺ لأنها بداية افتتانه بنفسه فحذرته لتبقى له شخصيته التي تسير به إلى تمام الرجولة، ويمتثل الصبي لوصية أمه.

وما أجمل أن يأخذ الوالدان درساً من دروس التربية من سيدنا عمر رضي الله عنه الذي تربى في مدرسة النبي ﷺ فعن سنان بن سلمة – وكان من صبيان التابعين– قال: كنت في أغيلمة نلقط البلح، فجاءنا عمر فسعى الغلمان فقمت، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنه مما ألقت الريح، فقال: أرنيه فإنه لا يخفى علي، فلما أريته إياه، قال: صدقت انطلق، قلت: يا أمير المؤمنين ترى هؤلاء الغلمان الساعة فإنك إذا انصرفت عنى انتزعوا ما معي فمشى معي حتى بلغت مأمني. [مصنف أبي شيبة]

ومن الجميل هنا ونحن نتحدث عن سيدنا عمر رضي الله عنه أن نتحدث عن وصيته لمسلمي أزربيجان: (أما بعد فاتَّزِروا وارتدوا وانتعلوا وألقوا الخفاف وألقوا السراويلات (جمع سراويل يؤنث ويذكر) وعليكم بثياب أبيكم إسماعيل وإياكم والتنعم بزي العجم وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب وتمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب (راكب الإبل) وانزوا على الخيل نزواً (نزى: وثب) وارتموا الأغراض (وارموا أهدافاً معينة)).

أليست هذه الوصية يحتاجها كل مرب في كل زمان ومكان، يرشد إليها من يربيهم بعدم تأثرهم بالآخرين وأن لا يكونوا إمَّعة يسيرون خلف كل ناعق وإنما يتمسكون بالشخصية الإسلامية العربية، يتمسكون بعاداتها ويعتزون بتراثها

وفي حديثنا عن المحبة والرحمة والمودة يجب أن ينتبه الوالدان إلى أمرين مهمين:

الأول:

الرحمة والمودة لجميع الأطفال ذكورا كانوا أم إناثا دون تفريق أو تمييز بل يجب الاهتمام أكثر في تربية الإناث لأنهن أمهات المستقبل وعليهن تقع مسؤولية تربية الأجيال القادمة في المقام الأول كما قال الشاعر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

فيجب عدم إهمال تربية الإناث لأن في إهمالهن العار والشنار والدمار والضياع والخسران وفي ذلك يمكن أن نقول:

إهمال تربية البنات جناية عادت على الأبوين بالويلات

الثاني:

المساواة والعدل بين الأولاد في كل الحقوق ومنها الرحمة والمودة والمحبة فلا يميز بين أحد من الأولاد وآخر ولا يظهر ودا لأحدهم دون الآخرين حتى لا يفسد تربية الأبناء ويوقع بينهم العداوة والبغضاء والشحناء والحسد ويوقعهم في العقوق فالعدل من أهم أسباب الاستقرار النفسي عند الأطفال لأنه يبهج نفوسهم ويريح أفئدتهم، وقد وضح لنا رسول الله ﷺ.

قاعدة عظيمة في طريقة بر الأطفال وخضوعهم لوالديهم وذلك بالعدل والمساواة.

عَنْ النُّعْمَان بن البشير رضي الله عنهما: «أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ يُشْهِدُ عَلَى نُحْلٍ نَحَلَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ: **أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَهُ** قَالَ: لا، قَالَ: **فَلا أَشْهَدُ عَلَى شَيْءٍ أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً** قَالَ: بَلَى، قَالَ: **فَلا إِذًا**».

[أخرجه النسائي]

وفي رواية فقال النبي ﷺ: «**أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ**». قَالَ: لاَ. قَالَ: «**اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ**». فَرَجَعَ أَبِى فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

[أخرجه مسلم]

وقال رسول الله ﷺ:«**ساووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً أحدًا لفضلت النساء**». [جامع الأحاديث]

حتى إن النبي ﷺ نبه إلى العدل في القبلة بين الصبي والبنت عن أنس رضي الله عنه أن رجلا كان جالسا مع النبي ﷺ، فجاء بني له، «فأخذه فقبله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنية له، فأخذها وأجلسها إلى جنبه، فقال النبي ﷺ: **فما عدلت بينهما**». [أخرجه البيهقي في شعبه]

ولأهمية العدل والمساواة رغب الله فيهما وجعل ثوابهما عظيماً يوم الآخرة.

عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**».

[أخرجه مسلم]

والخلاصة يجب على الآباء والأمهات أن يأخذوا بأيدي صغارهم مرشدين بهدوء وموجهين بحنان، ومعلمين برفق وهدوء ورحمة حين ذاك تكون النتيجة المرضية وتكون الثمرة المرجوة.

وأخيرا على الوالدين أن يتقنا أهم وسيلة في التربية وهي الحب وعليهما أن يتقنا لغة الحب وأبجدياته وهناك:

أ- **كلمة الحب** كم كلمة حب نقولها لأبنائنا نسعدهم ونشد من عزائمهم ونحل مشاكلهم ونرفع من معنوياتهم ونزيد من تفاؤلهم وننعمهم

بالسرور والانشراح.

وكم من كلمة فيها تشنيع واستهزاء وحط من القيمة وتوبيخ تنتج انطواء وعدوانية ومخاوف وعدم ثقة بالنفس فالكلمة هي ريشة رسام إما أن يرسمها بالأسود أو يرسمها بألوان جميلة.

ب- **نظرة الحب** إن نظرة الوالدين إلى أطفالهم تشع منها عاطفة الحب مع ابتسامة خفيفة وكلام رقيق لها أثر كبير ونتائج غير عادية يجب أن لا يحرم الأطفال منها.

ت- **لقمة الحب** ولا تتم هذه الوسيلة إلا والأسرة مجتمعة على مائدة واحدة في غير غرفة التلفاز حتى يحصل بين أفراد الأسرة نوع من التفاعل وتبادل وجهات النظر وليحرص الآباء على وضع بعض اللقيمات في أفواه أطفالهم أو في صحونهم الخاصة مع نظرة حب وابتسامة وكلمة جميلة.

ث- **لمسة الحب** من قبل الوالدين على رؤوس أبنائهم أو أكتافهم وقد ثبت أن مجرد اللمس يجعل الإحساس بالود ويدفئ العلاقة بينهم.

ج- **دثار الحب** وذلك إذا كان أحد الوالدين بجانب فراش الطفل عند نومه يقص عليه قصة هادفة مناسبة له لها أثر كبير في نفسه ونومه الهادئ فإذا ما تأخر الوالد في عمله وجاء إلى غرفة نوم طفله فقبله ورتب لحافه فإن هذا الطفل سيشعر ويحس بذلك ويتابع نومه مبتسما وهو في مرحلة اللاوعي بين اليقظة والمنام سيترسخ هذا المشهد في عقله عندما يصحو من الغد يتذكر ما حدث وسيكون سعيدا بذلك.

ح- **ضمة الحب** على الوالدين أن لا يبخلا على أولادهما بهذه الضمة فهم بحاجة إليها كحاجتهم إلى الطعام والشراب والهواء فينبغي ألا يُحرموا منها.

عن أنس بن مالك ﷺ سُئِلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَيُّ أَهْلِ بَيْتِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ: «**الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ**». وَكَانَ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ: «**ادْعِي لِي ابْنَـــيَّ**». فَيَشُمُّهُمَا وَيَضُمُّهُمَا إِلَيْهِ. [أخرجه الترمذي]

خ- **قبلة الحب** فكذلك ينبغي للوالدين أن لا يحرما الأولاد من هذه القبلـــة لأنها من أهم تعابير الحب والرحمة التي تُشيع الـــسعادةَ والطمأنينـــة في نفوس الأولاد.

د- **بسمة الحب** الوالدان الناجحان في تربية أبنائهما تـــرى في وجهيهمـــا البسمة الدائمة والرقة العارمة أثناء تعاملهما مع أطفالهما مما يجعل الأولاد في حالة نفسية مطمئنة هادئة مريحة سعيدة

قال أحد المربين: إن الحب والعطاء يجعل من الطفل إنسانا سوياً متميزاً في أخلاقه وعاطفته فيجعله شخصاً إيجابياً بناءً في المجتمع.

الحب الذي يجب أن نمنحه لأطفالنا ينبغي أن لا يخضع للمساومة ،بمعنى أن لا نقوم بتهديد الطفل بعدم الحب إن لم يلتزم بالسلوكيات المفروضة.

إن الطفل عندما تقول له إنني لن أحبك إذا فعلت كذا، يظن أنه سيفقد منك الحب والرعاية إلى الأبد، إنه لا يفهم كلامك على أنه تهديد فقط، فإذا وقع في الخطأ تصور أنك لا تحبه فعلاً، إنك توقعه في أزمة وخير لك أن تقول له: إنك إن فعلت كذا -مثلاً- ستؤذي نفسك واحذر أن تقع في هذا الأمر.

ثالثاً: الاهتمام بتربية الأولاد عن طريق اللعب:

ينبغي للمسلم الذي يأمل من الله ﷻ ويرجو أن يجعل أولاده قرة عين له أن يسعى إلى تحقيق متطلبات التربية من جميع نواحيها، مـــع ســـؤال الله ﷻ

التوفيق ومن جملة هذه المتطلبات الاهتمام بتربية الأولاد عن طريق اللعب فاللعب طبيعة فطرية في الطفل جعلها الله غريزة في نفسه وذلك لينمو جسمه نمواً طبيعياً بشكل قوي، وحيث إن الطفولة البشرية هي أطول الطفولات بين الكائنات الحية، وحيث أن نمو العضلات ونمو الجسم كله يكون في هذه الفترة كان لابد للطفل أن يستوفي حقه من اللعب في طفولته.

إذاً اللعب ضرورة من ضرورات مرحلة الطفولة، وهي حقيقة علمية ثابتة حتى في أطفال الحيوانات.

ويرى المربون أن اللعب حق من حقوق الصغار، وهو رمز لحيويتهم ونشاطهم وأن الطفل الذي يلعب بنشاط، ولا ينفك يلعب حتى يصيبه الإجهاد فيكف عنه، هذا الطفل سيكون في مستقبل حياته شخصاً ذا إرادة وعزيمة يكافح ويستميت في النضال لخيره وخير غيره.

والسؤال الآن ما هو موقف الإسلام من اللعب، وخاصة عند الصغار؟

الإسلام دين الفطرة وبما أن اللعب من الفطرة، فالإسلام يدعو إلى إعطاء الأطفال حقهم من اللعب ضمن توجيهات تتفق مع الفطرة وإرشادات حول أنواع الألعاب ومناسبتها للأطفال وضمن اعتدال في ممارستها دون طغيان على الواجبات المطلوبة.

والأطفال هم الأطفال في أي بلد كانوا وفي أي زمن خلقوا، اللهو وحب اللعب من طبيعتهم، والإسلام يعطي الطفولة حقها ويراعي الفطرة الإنسانية فلا يكبتها.

ولقد تحدث الله ﷻ في القرآن الكريم في آيات متعددة عن اللعب وربطه باللهو فقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (الأنعام: ٣٢).

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (محمد: ٣٦).

وقال جل وعلا: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ (الحديد: ٢٠).

ولئن كانت هذه الآيات وغيرها تتحدث عن اللعب واللهو ووجودهما في هذه الدنيا فإنها كثيراً ما تحدثت عن مساوئ هذا اللعب عند الكبار لانشغالهم به عن ربهم وأداء واجبات دينهم.

تنبيهاً للناس أن اللهو واللعب هو خصوصية الأطفال في فترة معينة فإذا ما انغمس الناس في الدنيا وابتعدوا عن الله وشرعه فكأنما تمر عليهم الدنيا كمرحلة الطفولة لهواً ولعباً تدوم مدى حياتهم لا يشعرون بذلك.

وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع إخوته إشارة واضحة إلى حب الأطفال للعب ورغبتهم العارمة فيه حيث كان سيدنا يوسف طفلاً فطلب إخوته من أبيهم أن يأخذوه معهم إلى البادية مظهرين رغبة الطفل في اللعب مرغبين والدهم بهذه الفطرة من أجل أن يلعب ويجري بحرية ويرتع في المكان الواسع الفسيح، قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ (يوسف: ١٢)

فكانت قناعة الوالد بإرسال يوسف مع إخوته بتحقيق رغبة الطفل في أن يتمتع بالرتع واللعب بحرية في البادية.

إذاً اللعب عند الأطفال معروف منذ القدم لأنه من فطرة الأطفال ولقد كان الأهل يسعون بأطفالهم إلى الأمكنة الواسعة ليمرحوا فيها ويرتعوا ويلعبوا لمعرفتهم أهمية هذا اللعب لأطفالهم ومدى الفائدة منه في نموهم الجسدي والعقلي والمعنوي والنفسي والانفعالي والوجداني والاجتماعي.

وحين نتعرف حياة العرب قبل الإسلام وموقفهم من هذا اللعب فإننا نقرأ في كتب السيرة عن رغبة أشراف العرب في إرسال أطفالهم الرضع إلى البوادي ليرضعوا حليب الأمهات هناك وينعموا بالهواء العليل وصفاء البادية ويرتعوا بمساحاتها الشاسعة ويلعبوا مع أطفالها وأغنامها ويلعبوا برمالها وحجارتها وزهورها وما يجدون فيها.

وهذا ما نعرفه من كتب السيرة ومن نشأة سيدنا محمد ﷺ وقصته مع مرضعته حليمة السعدية حين أرسلته أمه آمنة بنت وهب معها فكان ﷺ وهو طفل صغير يلعب ويمرح في البادية مع ابن حليمة السعدية وكان في مثل سنه ومع أبناء بني سعد الصغار.

وفي الحديث الذي رواه أنس بن مالك ﷺ في حادثة شق الصدر لرسول الله ﷺ في صغره «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الصبيان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك قال: فغسله في طست من ذهب بماء زمزم ». [أخرجه الحاكم في مستدركه]

وكانت حليمة ﷺ تداعب النبي وترقّصه وتناغيه كما تفعل الأمهات مع الأبناء فمن ذلك قولها:

يا رب إذا أعطيته فأبقه وأعله إلى العلى ورقّه

وادحض أباطيل العدى بحقّه

وكانت الشيماء أخته من الرضاعة تقول:

هذا أخ لي لم تلده أمي وليس من نسل أبي وعمي

فديته من مُخْوِلٍ مُعِمّ فأنمه اللهم فيما تنمي

مُخْوِل مُعِمّ: أي كريم الأخوال والأعمام، فأنمه: من النماء وهي الزيادة والكثرة.

وكانت تقول أيضاً:

يا رب أبق أخي محمدا حتى أراه يافعاً وأمردا

ثم أراه سيداً مسودا واكبت أعاديه معاً والحسدا

وأعطه عزاً يدوم أبدا

وقد ورد في سيرة النبي ﷺ أنه سبح وهو صغير في بستان أخواله بني النجار ولعب مع الصبيان عندما ذهبت به أمه لزيارة أخواله.

وفي قصة زواج السيدة عائشة رضي الله عنها أنها كانت يوم زواجها في أرجوحة ومعها صواحب لها عندما جاءت أمها أم رومان فنادتها لتصلح من شأنها. [أخرجه أبو داود في سننه]

ولو سألنا أنفسنا ما هو موقف النبي ﷺ من اللعب وهو المربي الأول والقدوة المثلى فإننا سنجد الجواب في مظهرين:

أما المظهر الأول: فقد كان يشعر بأهمية اللعب عند الصغار، ويدرك مدى حاجتهم إليه فقال ﷺ: «**عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره**». [جامع الأحاديث عن الحكيم عن عمرو بن معد يكرب]

والعرامة: الحيوية وكثرة الحركة.

وقد بدا ذلك جلياً في معاملته مع السيدة عائشة رضي الله عنها التي تزوجها وهي صغيرة.

روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول اللهﷺ إذا دخل ينقمعن منه. (أي يتقين منه ويدخلن من وراء الستر) فيُسرّي بهن إلي فيلعبن معي.

وروت أيضاً رضي الله عنها قَالَتْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ**». قَالَتْ: بناتي. وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ فَقَالَ: «**مَا هَذَا الذي أَرَى وَسْطَهُنَّ**». قَالَتْ: فَرَسٌ. قَالَ: «**وَمَا هَذَا الذي عَلَيْه**». قَالَتْ: جَنَاحَانِ. قَالَ: «**فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ**». قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلاً لَهَا أَجْنِحَةٌ قَالَتْ فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ.

[أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب في اللعب]

وكذلك كان النبي ﷺ يشعر بأهمية رؤية الصغار لمن يلعبون وسرورهم بهم فيسعى لإشباع هذه الغريزة عندهم كلما سنحت الفرصة لذلك فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُومُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي - وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّه -ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ لِكَي أَنْظُرَ إِلَى لَعِبِهِمْ ثُمَّ يَقُومُ مِنْ أَجْلِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ. فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ حَرِيصَةً عَلَى اللَّهْوِ».

وأما **المظهر الثاني**: فقد كان النبي ﷺ يمارس اللعب مع الأطفال:

فهو يداعب الأطفال ويرأف بهم، ويحسن ملاعبتهم، يتجلى ذلك في مشاهد له مع أحفاده وأبناء الصحابة رضوان الله عليهم وتلك المشاهد كثيرة أذكر منها ما يلي:

عن أبي أيوب الأنصاري قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين ﷺ يلعبان بين يديه وفي حجره فقلت: يا رسول الله أتحبهما ؟ قال: «**وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا أشمهما**». [أخرجه الطبراني في الكبير]

وروي عن سعد قال: دخلت على رسول الله ﷺوالحسن والحسين يلعبان على بطنه: فقلت: يا رسول الله أتحبهما ؟ فقال: «**وما لي لا أحبهما ريحانتاي**». [أخرجه البزار]

عن عمر ﷺ قال: رأيت الحسن والحسين رحمة الله عليهما على عاتقي النبي ﷺ فقلت: (نعم الفرس تحتكما قال: ونعم الفارسان هما).

[أخرجه البزار]

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ فكان يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره وإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعا رفيقا فإذا عاد عادا فلما صلى جعل واحدا هاهنا وواحدا ها هنا فجئته فقلت: يا رسول الله ألا أذهب بهما إلى أمهما قال: لا فبرقت برقة فقال: الحقا بأمكما فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا.

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

و روي عن جابر ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺوهو يمشي على أربعة وعلى ظهره الحسن والحسين ﷺ وهو يقول: «**نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما**». [أخرجه الطبراني في الكبير]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلاَتَيْ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا قَالَ أَبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلاةَ قَالَ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ قَالَ: «**كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ**». [أخرجه النسائي]

وروي عن أَبي قَتَادَةَ يَقُولُ بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ جُلُوسٌ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُ أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ وَأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ صَبِيَّةٌ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ عَلَى عَاتِقِهِ يَضَعُهَا إِذَا رَكَعَ وَيُعِيدُهَا إِذَا قَامَ حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا.

[أخرجه أبو داوود]

ومن الشواهد أيضاً أن النبي ﷺ وفي عدة مواطن كان يشاهد مواطن لعب الأطفال ولعبهم فيه و لم ينكر عليهم، والشواهد على ذلك كثيرة أذكر منها:

روي عن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ فَدُعِينَا إِلَى طَعَامٍ، فَإِذَا الْحُسَيْنُ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ حُسَيْنٌ يَمُرُّ مَرَّةً هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقَنِهِ وَالأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الأَسْبَاطِ**». [أخرجه الطبراني]

كان النبي ﷺ إذا احتاج لأمر سعى إلى خادمه أنس يبحث عنه في مكان لعب الأطفال.

فقد روي عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّـه ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَأَخَذَ بِيَدِي فَبَعَثَنِي فِي حَاجَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ حَائِطٍ أَوْ جِـدَارٍ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ فَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ الَّتِي بَعَثَنِي فِيهَا فَلَمَّا أَتَيْتُ أُمَّ سُلَيْمٍ قَالَتْ مَا حَبَسَكَ قُلْتُ بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ فِي حَاجَةٍ لَهُ. [أخرجه أحمد في مسنده]

وروي عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله ﷺ قد جاء فقلت: ما جاء إلا إلي فاختبأت على باب فجاء فحطأني حطـأة، فقـال: «**اذهب فادع لي معاوية**»، وكان يكتب الوحي، قال: فذهبت فدعوته له فقيل: إنه يأكل، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته. [أخرجه البيهقي في الدلائل]

الحَطْءُ: تَحْريك الشَّيء مُزَعْزَعا.

وقد مر رسول الله ﷺ على صبيان وهم يلعبون بالتراب فنهاهم بعـض أصحاب النبي ﷺ فقال: دعهم فإن التراب ربيع الأطفال. [أخرجه الهيثمي]

ولم يكتفِ النبي ﷺ بمداعبة وملاعبة أحبابه بل تعدى ذلك إلى أطفـال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد كان النبي ﷺ يجري مسابقة في الجري بين أطفال عمه العباس ويستقبل الفائز بصدره ثم الآخر وهكذا.

فقد روي عن عبد الله بن الحرث قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبـد الله وعبيد الله وكثيراً من بني العباس ثم يقول: «**من سبق إلي فله كذا وكذا**» قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم.

[أخرجه أحمد في مسنده]

ما أعظم هذا المربي كان يشملهم بحبه جميعاً فيقبلهم جميعاً ولا يقتـصر على الفائز منهم فقط وإنما رعاية لهم جميعاً خشية دخول الغيرة والحسد بينهم ومن روائع ملاعبة النبي ﷺ للأطفال ما رواه عمرو بن حريث، أن رسول الله

ﷺ مر بعبد الله بن جعفر وهو يبيع مع الغلمان - أو الصبيان -(أي يلعبوا لعبة البيع) فقال: «**اللهم بارك له في بيعه - أو قال-: في صفقته**».

[أخرجه أبو يعلى]

ولقد كان النبيﷺ يزور الصحابة ويداعب أطفالهم فقد روي عن أنس ابن مالك ﷺ قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**». [أخرجه البخاري]

والنُّغَرُ: طائر أخضر اللون من فصيلة الحسون كان الطفل يداعبه فطار من بين يديه فلاطفه النبي بذلك القول.

وقد استنبط الشافعي ﷺ من هذا الحديث أكثر من سبعين حكماً منها وجوب تهيئة أسباب السرور للأطفال.

وعن أنس ﷺ أيضاً أن النبي ﷺ قال له: «**يَا ذَا الأُذُنَيْنِ**».

[أخرجه أبو داود]

قال الراوي يعني مازحه.

لكن النبي ﷺ كان له توجيه هام في موضوع اللعب وذلك بأن يمنع الأهل أولادهم من اللعب خارج البيت بعد العشاء فقد روى جابر ﷺ عن النبي ﷺ قوله: «**كفوا صبيانكم عند العشاء فإن للجن انتشارا وخطفة**».

[أخرجه أبو داود]

ولقد كان اللعب عند الأطفال وسيلة للتقوي على عبادة الله يأخذ بها الصحابة الكرام أولادهم كمدخل لتدريب الأطفال على تحمل مسؤوليات الرجولة فيما بعد.

فقد روي عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ: «**مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ**». قَالَتْ فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ، حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ. [أخرجه البخاري]

والعهن: هو الصوف المنفوش.

وكانت مداعبة النبي ﷺ الأطفال وملاعبتهم سنة سنها صحابة رسول الله ﷺ فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يشتري الجوز لصبيانه يوم الفطر يلعبون به وكان يأكل منه وكتب سيدنا عمر ﷺ إلى أهل الشام: (علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية وذلك أخذاً من حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه). [جامع الأحاديث عن الربيع الأنصاري]

ولقد استخلف مروان بن الحكم أبا هريرة ﷺ على المدينة فكان أبو هريرة ﷺ يمازح الأطفال بل ويشاركهم لعبهم، وربما أتى الصبيان وهم يلعبون لعبة الأعراب فلا يشعرون به حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه فيفرح الصبيان فيفرون. [سير أعلام النبلاء]

ولقد كان معاوية ﷺ يعرف ما للعب من فوائد فيقول: (من كان له صبي فليتصابى له) مقدراً بذلك روح الطفولة وطبيعتها وروي أن عروة بن الزبير كان يقول لولده: (يا بني العبوا فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب). [عيون الأخبار]

وتأخذ السباحة أهمية خاصة في نظر الحجاج وكان يوصي مؤدب ولده بقوله: (علموهم السباحة قبل الكتابة، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبح عنهم). [عيون الأخبار]

ولقد تنبه الفلاسفة والمربون الإسلاميون إلى أهمية اللعب عند الأطفال وتحدثوا كثيراً عنها فهذا ابن سينا يقول: (الأخلاق الحسنة تابعة لصفاء المزاج، والأخلاق الرديئة تابعة لسوء المزاج، وحسن الأخلاق يحفظ الصحة للنفس والبدن جميعاً).

ثم يضع ابن سينا للطفل منهجاً يومياً ينمي هذا المزاج الصافي وذلك في قوله: (و إذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يُخَلَّى بينه وبين اللعب ساعة، ثم يطعم شيئاً يسيراً، ثم يطلق له اللعب وقتاً أطول ثم يستحم، ثم يغذى).

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله أيضاً: (ينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكُتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائماً يميت قلبه، ويعطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً).

[الإحياء- رياضة الأطفال]

لذلك فإن عدم قيام الطفل باللعب يؤدي أحياناً إلى مخاطر جمة لا تلبث أن تنمو وتكبر حتى تظهر في الحال أو المستقبل في شكل من أشكال الهزال الجسمي أو الانهيار الداخلي والنفسي.

ومع تطور العلوم في مختلف مجالاتها تحدث الباحثون عن أهمية اللعب في حياة الأطفال وأثره وفوائده الكثيرة في نموهم السليم من الناحية العقلية والجسمية والنفسية والانفعالية والاجتماعية.

وقد تحدث هؤلاء الدارسون للطفولة عن دوافع الأطفال في مراحل حياتهم للعب بما يناسب أعمارهم.

فقد وجدوا أن الطفل اعتبارا من شهره الرابع يصبح قادراً على إمساك اللعب إن وضعت في يده ولا بأس هنا أن يعطى (خشخيشة أو حلقة من بلاستيك) أو تعلق بعض اللعب قريبة منه في سريره أو عربته.

ويستطيع الطفل عندما يتم شهره الخامس أن يمد يده ليلتقط اللعب ولذا يحسن أن نوفر له شيئاً منها.

وفي الشهر التاسع يرغب بوضع الأشياء ثم استخراجها من محفظة أو سلة أو ما شابه ذلك.

وفي السنة الثانية يشتد ولع الطفل بالكتب لكن سريعاً ما يمزقها ولذا يحسن أن تكون على نوعين نوع من الورق الثقيل يترك له ونوع معتاد تقلب صفحاته مع الأم.

إن الكتب في هذا السن يجب أن تكون بسيطة حاوية على صورة واحدة في كل صفحة وبذلك يتعلم الطفل الأشياء بسرعة، حتى نراه يشير إلى مفرداتها قبل أن يحسن نطق أسمائها.

وهكذا يحسن أن يعود الطفل الصلة بالكتب والمحافظة عليها منذ صغره فيدأب على مرافقتها أبداً طيلة حياته وهي خير وسيلة ليعتاد الطفل التفكير والمطالعة منذ الصغر.

وفي هذه السن أيضاً يمكن أن نعطيه قلماً وورقة ليقوم برسم الخطوط كما يشاء مع مراقبتنا له حتى لا يؤذي نفسه بالقلم ثم نعطيه أقلاماً ملونة مع رسومات متعددة ليقوم بتلوينها كما يشاء فهذا نوع من اللعب الذي يستمتع به كثيراً.

ومع نهاية السنة الثالثة يمكن إعطاء الطفل الصور المقطعة السهلة لإعادة تركيبها أو يعطى قطع البلاستيك الملونة في أحجامها المناسبة له ليقوم بتركيبها بأشكال مختلفة كما يرغب.

أما أطفال السن الرابعة والخامسة فيعتبر اللعب بالنسبة لهم وسيلة لعملية التطبيع الاجتماعي والاندماج في المجتمع بمختلف دوائره: (الأسرة، الأقارب، الجيران،الرفاق في الحضانة ورياض الأطفال)، ونرى الأطفال يتجهون إلى اللعب لا للتسلية فحسب بل لمحاولة اكتساب المزيد من المعارف والمهارات، كثيراً ما تجدهم منهمكين في اللعب بدرجة كبيرة، ويغضبون عند محاولة الكبار منعهم من الاستمرار في اللعب.

توجيهات خاصة للوالدين بالنسبة للعب أطفالهم:

أولاً: إن من أهم واجبات الأم المربية أن تلعب مع أطفالها بمرح وصبر وحبور، وليس المجال هنا مجال أنفة ولا كبر وحبذا أن تتصرف الأم بالألعاب القديمة أو الأدوات القديمة فتجعل منها حركة حيوية تثير بذلك فرح الطفل وتشيع البهجة في نفسه أكثر بكثير من الألعاب ذات الثمن المرتفع كذلك على الأب ألا يحرم ولده من اللعب معه في أوقات فراغه، فاللعب مع الأبناء أهم بكثير من الجلوس على التلفاز لساعات طويلة لا طائل منها ولا فائدة.

ثانياً: يجب انتقاء الألعاب التي تناسب سن أطفالهم من جهة وعدم شراء لعبة فوق مستواهم لأنهم سوف يهملونها أو يقومون بتخريبها لعدم معرفة اللعب بها.

ومن جهة أخرى أن يكون لها هدف تربوي نسعى إلى تحقيقه من خلال لعبهم بهذه الألعاب.

ثالثاً: يجب على الوالدين تهيئة مكان خاص للطفل ليلعب بـــه، وأداة خاصة ليجمع بها ألعابه كما يحسن أن نربيه على مـــسؤولية جمـــع لعبـــه ووضعها في موضعها بعد انتهائه من اللعب بها، وأن يوجه إلى عدم الاعتداء على لعب الآخرين.

رابعاً: يجب على الوالدين اصطحاب أولادهم ولو بالأسبوع مـــرة إلى أماكن فسيحة خاصة أو عامة ليلعبوا فيها ويستمتعوا بالشمس والهواء فيكونوا أحراراً يستطيعون أن يلمسوا كل شيء، وأن يلعبوا بكل شيء تـــصل إليـــه أيديهم دون خوف أو حرج، وحبذا لو شاركناهم اللعب أو هيئنا لهم الجـــو للعب مع الآخرين فكم يفرح الطفل ويستفيد من تبادل اللعب مع مثل سنه.

خامساً: ألا يعطى الأطفال لعباً كثيرة دفعة واحدة حتى لا يزهدوا فيها جميعاً أو يعبثوا بها.

سادساً: تعليم الطفل قيمة الوقت مثلاً نقول له:لديك خمس دقـــائق أو نحوها لننتقل إلى لعبة كذا.

سابعاً: تشجيع الطفل القليل النشاط على اللعب، ومشاركته فيه فـــإن أحجم عن اللعب، ينظر في السبب فقد يكون مريضاً أو غير ذلك.

ثامناً: عدم تدخل الوالدين في لعب الأطفال إلا بقدر حتى لا يقطعـــوا سلسلة أفكار الطفل، ولاسيما في اللعب التمثيلي مثل لعب البيوت أو المهـــن كالنجار أو الطباخ أو غير ذلك.

تاسعاً: الموازنة بين اللعب الجماعي والفردي، لإبعاد الطفل عن الانطواء وتعليمه أسلوب التعامل مع الغير، واحتمال الأذى والتعرف علـــى وجهـــة النظر المخالفة.

عاشراً: يجب على الوالدين ألا يتركوا أطفالهما يمرحون ويعبثون في الساحات العامة أو بجانب شقق الجيران أو في الليل لما في ذلك من مساوئ كثيرة.

ما فوائد اللعب عند الأطفال؟:

في اللعب ذاته بالنسبة للأطفال مجال واسع للتربية والتوجيه وتنمية المواهب والقدرات والاستعدادات فهو ليس مجرد إنفاق طاقة فائضة ولكنه فرصة للتربية والتدريب في ذات الوقت، ومن هنا ينبغي أن يكون اللعب موجهاً وتحت إشراف الوالدين وللعب قيمٌ وفوائد عدة لخصها المؤلف محمد نور بن عبد الحفيظ سويد في كتابه منهج التربية النبوية للطفل فقال:

١- **القيمة الجسدية:** إن اللعب النشيط ضروري لنمو العضلات للطفل من خلال اللعب يتعلم مهارات الاكتشاف وتجميع الأشياء.

٢- **القيمة التربوية:**أن اللعب يفسح المجال أمام الطفل كي يتعلم الشيء الكثير من خلال أدوات اللعب المختلفة كمعرفة الطفل للأشكال المختلفة والألوان والأحجام والملابس وغير ذلك، وفي كثير من الأحيان يحصل الطفل على معلومات من خلال اللعب لا يستطيع الحصول عليها من مصادر أخرى.

٣- **القيمة الاجتماعية:** يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يبني علاقات اجتماعية مع الآخرين ويتعلم كيفية التعامل معهم بنجاح، كما أنه يتعلم من خلال اللعب التعاوني واللعب مع الكبار الأخذ والعطاء.

٤- **القيمة الخلقية:** يتعلم الطفل من خلال اللعب بدايات مفاهيم الخطأ والصواب، كما يتعلم بشكل مبدئي بعض المعايير الخلقية كالعدل والصدق والأمانة وضبط النفس والروح الرياضية.

٥- **القيمة الإبداعية:** يستطيع الطفل عن طريق اللعب أن يعبر عن طاقاته الإبداعية وأن يجرب الأفكار التي يحملها.

٦- **القيمة الذاتية:** يكتشف الطفل عن طريق اللعب الشيء الكثير من نفسه كمعرفة قدراته ومهاراته من خلال تعامله مع زملائه ومقارنة نفسه بهم، كما أنه يتعلم من مشاكله وكيف يمكنه مواجهتها.

٧- **القيمة العلاجية:** يصرف الطفل عن طريق اللعب التوتر الذي يتولد نتيجة القيود المختلفة التي تفرض عليه، ولذا نجد أن الأطفال الذين يأتون من بيوت تكثر فيها القيود والأوامر والنواهي يلعبون أكثر من غيرهم من الأطفال، كما أن اللعب وسيلة من أحسن الوسائل لتصريف العدوان المكبوت.

ما هي شروط اللعب عند الأطفال:

من أجل أن يحقق اللعب فوائده المتعددة لابد من التقيد بالشروط التالية:

أولاً: أن يكون بأدوات مباحة.

ثانياً: أن يكون مأمون الخطر والضرر.

ثالثاً: أن يمارس باعتدال بحيث لا يستهلك جل وقت الطفل ويكون شغله الشاغل.

رابعاً: أن يكون تحت إشراف الوالدين وتحت مراقبتهما حتى يتم التوجيه والتصويب للخطأ إن وقع منهم.

خامساً: أن تكون الألعاب مهدفة لها أهداف في التربية.

ألعاب الفيديو

في هذا العصر الحديث الذي نعيشه أدخلت الحضارة علينا ألعاباً جديدة عشقها الأطفال وكادوا أن ينسوا الألعاب القديمة المفيدة هذه الألعاب التي

يمارسها الأطفال عن طريق الحاسوب أو الآلات الأخرى التي تعد بمثابة المربي والملقن والمدرب على كافة أنواع السلوكيات وأكثرها ينمي السلوكيات السيئة، ناهيك عن تحجيمها لعقول الأطفال وحصر تفكيرهم في اللعبة فقط، فهي تشكل خطراً كبيراً على تفكيرهم وسلوكهم وأخلاقهم عدا أنها تسيطر على عقولهم ورغباتهم ومشاعرهم مما يجعلهم يهملون جميع واجباتهم الأخرى تجاه الوالدين والإخوة.

نصائح للوالدين فيما يتعلق بهذه الألعاب:

١- على الوالدين أن يتأكدا من صلاحية هذه الألعاب فيما يتعلق بسن أطفالهم.

٢- على أحدهما أن يجلس ويشاهد الطفل وهو يلعب أدواراً منها ويتفحصها جيداً وخصوصاً الخلفيات (الصور والأصوات)، للتأكد من عدم وجود ما يمكن الاعتراض عليه بسبب مخالفته للشرع.

٣- عليهما التأكد من مناسبة اللعبة لعمر الطفل الذي يلعب بها.

٤- يجب تحديد وقت معين يناسب سن الطفل ليتعلم القناعة بذلك الوقت فينصرف إلى القيام بأعمال أخرى تناسبه.

٥- مراقبة سلوكيات الأطفال بعد كل مرة يقتني فيها لعبة جديدة وملاحظة المتغيرات والتأثيرات التي تظهر عليه وإلغاء كل لعبة تعطي نتائج سلبية.

٦- إن كان الجهاز الذي بين يدي الطفل معد أن يستعمله أكثر من شخص فالأحرى أن يقوم أحد الوالدين باللعب معه ليستمتع الطفل بذلك وتقوى علاقته معه.

٧- يجب على الوالدين أن يعلما أن أطفالهما يحتاجون إليهما ويحتاجون أن يضعا لهما إرشادات وضوابط تسمح لهم بتعلم الحياة بالطريقة المثلى والفضلى وألا يتركوا أطفالهما دون مراقبة أو نصح أو إرشاد أو ملاحظة أو مشاركة حتى لا تكون هذه الألعاب وبالاً وشراً على الأطفال وعلى الأسرة بكاملها.

تعامل الأطفال مع التلفاز:

إن من أخطر وسائل الإعلام في موضوع تربية الأطفال التلفاز، ذاك الجهاز المذهل، الذي يسيطر على أهم حاستين لدى الإنسان السمع والبصر، ولذلك فهو يفوق في تأثيره كل وسائل الاتصال الأخرى، فالصورة كما يقول أحد الخبراء تقوم مقام ألف كلمة، ويقول أحد علماء النفس التلفاز: هو المدرسة الإعدادية لانحراف الأحداث.

وقد أثبت علم النفس أن الطفل ما هو إلا جهاز استقبال واكتساب، يستقبل كل ما يرد إليه من الحسن والقبيح.

وقد أشارت الدراسات على تعاظم مكان التلفاز عند الأطفال، حيث يشاهدون ما يقرب من ست ساعات يومياً.

وإذا كان للتلفاز الإسلامي للصغار بعض الفوائد في ترسيخ بعض القيم الإسلامية، وبعض الفوائد الإيجابية من الناحية الثقافية والعلمية، والجانب التنموي والتعليمي، إلى جانب بعض فوائده الاجتماعية والدعوية والترفيهية.

فإن آثاره السلبية أكثر من أن تحصى، فهو العدو اللدود لتربية الأسرة، وخاصة في سنوات التكوين الأولى عند تعلقه بالرسوم المتحركة التي تسمى (أفلام الكرتون).

هذا وإن من أهم الآثار السلبية المترتبة على مشاهدة هذه الرسوم المتحركة ما يلي (انظر كتاب كيف تربي طفلاً سليم العقيدة تأليف د. سميح غريب):

أولاً: زعزعة عقيدة الطفل في الله سبحانه وتعالى، فهذه الرسوم المتحركة بعيدة كل البعد عن الواقع، فقد أقحم فيها الخيال بشكل كبير، وأدخلت فيه إيحاءات تمس نشأة الطفل، وتأثر سلباً على معتقدات الطفل الدينية، فهذه الأفلام تصور أبطالاً يصعدون إلى السماء، ويقفون على السحاب، ولهم قوة خارقة.

والمؤمن يغرس في عقول أطفاله أن الله ﷻ هو الخالق، وأنه ليس بمقدور أي إنسان مهما كان من القوة أن يخلق شيئاً، وأن الله على كل شيء قدير، فكيف يتفق ذلك مع هذا.

ثانياً: كثيرٌ من هذه الأفلام تدعو إلى الانحلال والتفسخ والتبرج، وتنبيه الطفل إلى بعض الأمور المخلة بالأخلاق، فلا تخلو من عري أو غزل أو ملاحقة للفتيات، واختلاط ومعانقة وقبلات، أو معاودة وسهرات.

ثالثاً: لها تأثير كبير في إثارة الرعب والخوف عند الأطفال، لما تظهره هذه الأفلام من عنف وقتال وإجرام، وبأشكال مخيفة، وشخصيات ضخمة مرعبة تثير الرعب والخوف في نفوس الأطفال، ويظهر هذا واضحاً أثناء نومهم والأحلام المفزعة التي يرونها.

رابعاً: لها تأثير كبير في إثارة العنف عند الأطفال مما يجعلهم يرغبون في ممارسة ما يشاهدون على إخوتهم الصغار من ضرب وإيذاء وإيلام.

خامساً: لها تأثير كبير في تكوين شخصية الأطفال، وإقتدائهم بشخصيات غير سوية ومنحرفة، من خلال تعلقهم بهم، وحبهم لهم، وتقليدهم لهم.

سادساً: لها تأثير سلبي في سلوك الأطفال وألفاظهم وطريقة كلامهم مما يتعلمون من هذه الأفلام مثل يا غبي يا حقير يا وقح.....إلى غير ذلك.

سابعاً: لها آثار سلبية كثيرة منها:

١- إهمال الهويات مثل القراءة والرسم والتلوين وغير ذلك.

٢- عدم اكتساب خبرة التعامل مع الآخرين بالاختلاط بالناس والأهل والأصدقاء.

٣- التقليل من الشهية للطعام بسبب توترهم واندماجهم بالأفلام.

٤- ظهور آثار صحية سيئة مثل ضعف النظر واحتقان العين.

٥- تعود الأطفال على عدم الشعور بأهمية الوقت وعدم استغلاله الاستغلال الأمثل منذ الصغر.

٦- إهمال الواجبات المترلية وظهور الضعف الدراسي.

٧- تقلل ساعات الحوار بين الآباء والأبناء، وتضييع الأوقات المخصصة للبناء والتربية، إلى غير ذلك من الأمور السلبية الضارة.

وهنا سؤالٌ يطرح هل نمنع الأطفال من مشاهدة مثل هذه الأفلام كلياً؟

الجواب: لا نمنعهم، ولكن يجب الإشراف والاختيار ضمن الضوابط التالية:

١- اختيار محطات الأطفال الإسلامية البناءة.

٢- تحديد أوقات معينة لذلك، وعدم السماح بأكثر منها، على ألا تزيد عن ساعة أو ساعة ونصف يومياً.

٣- حبذا أن يجلس الآباء أو الأمهات مع أولادهم لمشاهدة هذه الأفلام للتأكد من عدم وجود سلبيات وليشعر الطفل أنه يهتم به، وإجراء حوار مع الأطفال حول هذه الأفلام، وتعزيز الإيجابيات، وإظهار السلبيات.

حسن استغلال الوالدين لطفولة أبنائهم

- قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يتلو أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠). [أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

بهيمة جمعاء: أي كاملة لا نقص فيها.

جدعاء: أي خالية من النقص غير مقطوعة الأذن أو الأنف.

فطرة الله: إي الزموا فطرة الله.

فطر الناس عليها: خلقة الله التي خلق الناس عليها من الشعور بالعبودية لله تعالى وقبول الحق وإدراكه.

لا تبديل لخلق الله: لا ينبغي لأحد أن يغير فطرة الله وخلقه بالشرك به سبحانه.

- نتبين من هذا الحديث تأثير الوالدين في تربية أبنائهم فالأولاد يولدون على فطرة الدين فينشأ الطفل على ما يربيه عليه والداه فإن وجهاه توجيهاً سليماً نبت على ذلك وإن أهملاه أثر المجتمع فيه وفي فطرته التي فطره الله عليها.

- قال الإمام الغزالي معلقاً على هذا الحديث: (وهذا دلالة على أن الإنسان يولد مزوداً باستعدادات مختلفة إن لم تكن متناقضة، فهو على

استعداد بأن يسلك سبيل الرشاد والصلاح كما أنه على استعداد ليسلك سبيل الشقاء والفساد.

وواجب الأبوين الحريصين على تربية أبنائهم تربية صحيحة أن يوجّهوا أبناءهم نحو طريق الخير لأن في ذلك سعادة لهم ولأبنائهم وللمجتمع).

– ويقول أيضاً في موضع آخر: (الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والولي له). [إحياء علوم الدين ج٣ ص ٧٢]

– وفي هذا الموضوع يحدثنا الله ﷻ في الحديث القدسي مبيناً لنا أثر المجتمع وشياطينه من الجن والإنس في تربية الأطفال فيقول سبحانه: «**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**». [أخرجه مسلم]

– من كل ذلك ينبغي للوالدين الاهتمام بتربية أطفالهم اهتماما كبيراً وهم صغار وعدم الانشغال عنهم لأي سبب، وعليهم إعطاء أطفالهم الوقت الكثير من أجل متابعة هذه التربية وتوجيهها والإشراف عليها، لأن في إهمالهم وتركهم لمفاسد الاختلاط مع الآخرين وتأثرهم بهم أثراً مدمراً لن تجدي معه تربيتهم حينئذٍ.

– وفي ذلك يقول الشاعر صالح عبد القدوس:

قد ينفع الأدب الأطفال في صغر ... وليس ينفعهم من بعده أدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشب

وقال المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن ... يعلمه التدين أقربوه

وقال آخر:

يَنْشَا الصغير على ما كان والده ... إن الأصول عليها ينبت الشجر

وقال آخر:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... همِّ الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أماً تخلت أو أباً مشغولا

وقال آخر:

إهمال تربية البنين جناية ... عادت على الآباء بالويلات

– قال ابن قيم الجوزية: (فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت عققتني صغيراً فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً). [تحفة المولود]

– وفي هذا يقول ابن سينا في كتابه السياسة، باب سياسة الرجل ولده: (فإذا فطم يبدأ بتأديبه، ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة).

- وفي ذلك يقول المربون: إن فكرة استصغار الطفل، وإهمال توجيهه تعدّ باطلة، وإنما من بداية الفطام يبدأ التوجيه والإرشاد، والأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والتحبيب والتقبيح، وهكذا.

- ومن هذا القبيل، من اهتمامِ الوالدِ الكبير سيدنا محمد ﷺ بأبناء أمته ما ورد عن عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «**رَأَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ -ولما كان ذلك منهي عنه- قال: ﷺ أُمُّك أَمَرَتْك بِهَذَا**».

[أخرجه مُسْلِمٌ في سبل السلام]

- فقد اكتفى النبي ﷺ بهذا العتاب الوجيز لأنه كان كافياً في إصلاح الأمر، وبيان المعروف، وقد ثبت أن ابن عمرٍو رضي الله عنهما لما رجع إلى بيته ما كان منه إلا أن أحرق الثوبين.

- وورد أن هشام بن عبد الملك تفقد أحد أولاده يوم الجمعة، فلم يجده، فبعث إليه: ما لك لم تشهد الجمعة؟ فقال: إن بغلتي عجزت عني، فبعث إليه: أما تملك المشي، ومنعه أن يركب سنة، وأن يشهد الجمعة ماشياً. [البداية والنهاية]

- وورد أيضاً أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز اشترى فصاً لخاتم بألف درهم، فكتب إليه أبوه بعِ الخاتم، وأشبع ألف بطن جائع، واتخذ خاتماً من حديد واكتب عليه، رحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

- هذا وإن من أهم ما يجب على الوالدين أن يعلما أن الطفل، وهو صغير يمتلك قدرات عجيبة وخاصة أطفال هذا العصر حيث يولد الطفل وحوله وسائل المعرفة المتعددة (من تلفاز وحاسوب وألعاب متعددة متطورة وغير ذلك)، فإن استغلت هذه القدرات بشكل جيد في هذا الطفل فاق أقرانه ونمت مواهبه.

- وينبغي أن يعلم الوالدان أن الأطفال أكثرهم أذكياء موهوبون مبدعون، وبقدر ما يسعى الوالدان لتنمية تلك القدرات بقدر ما يظهر تفوق الأطفال في ذلك.

- فالذكاء هو قدرة الطفل على الفهم، والابتكار، والتوجيه الهادف للسلوك، والنقد الذاتي.

- والموهوب هو من يظهر سلوكاً في المجالات العقلية والمعرفية يفوق كثيراً أقرانه الآخرين وذلك يستدعي تدخلاً تربوياً لإثراء هذه القدرات وتنميتها، والوصول بالطفل في النهاية إلى تحقيق أقصى حد ممكن تسمح به طاقاته وقدراته.

[انظر كتاب التربية الخاصة للموهوبين تأليف الدكتور أحمد محمد الزعبي]

- أما الإبداع فهو قدرات عقلية وعملية يحقق الطفل فيها ذاته وينتج إنتاجاً ابتكارياً جديداً بالنسبة إليه وبالنسبة إلى الجماعة.

- ولقد دلت بعض الدراسات أن الطفل يولد وهو على درجة عالية من القدرة على الإبداع (إن الأطفال حين تكون أعمارهم بين سنتين وأربع سنوات يكون ٩٥% منهم إبداعيين وإمكاناتهم في ارتفاع مستمر في حين تقل النسبة تدريجياً كلما تقدم السن حتى لا يبقى سوى ٢%).

[اكتشاف الذات تأليف الدكتور بكار ص ١٠٩]

- فأي فرصة تضيع وأي إبداعات تهدر بالإهمال، إنّ الإبداع غير الذكاء والتفوق، فهو يظهر حين نحسن استخراجه ونفسح المجال له وقد قيل: (العقل كمظلات الطيارين لا تنفتح حتى تفتح)، وهكذا الإبداع لا يشرق حتى يطلق، وإن أهمل الإبداع الإيجابي فإن هذا الإبداع يتوجه إلى السلبية، ولابد

من أجل نمو الإبداع من التشجيع وتقديم الحوافز وإعطاء نوع من الأمن الذي يجرأ الطفل على مزيد من الإبداعات.

- كان ابن شهاب ﷺ (وهو من كبار التابعين) يشجع الأولاد الصغار ويقول لهم: (لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يتبع حِدَّة عقولهم).

[جامع بيان العلم وفضله]

- من كل ما سبق نستنتج أن من أهم ما ينبغي للوالدين التعرف على واقع أطفالهم وإمكاناتهم ومساعدتهم على التفوق والإبداع واستغلال مواهبهم لنمو شخصياتهم ووصولها إلى أعلى درجة ممكنة لا أن يقيّداها بالتربية التي تربيا عليها في زمانهما وفي ذلك يقول سيدنا علي كرم الله وجهه:

(لا تقسروا أولادكم على عاداتكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم).

- هذا وإن القرآن الكريم يشير إلى إمكانية الأطفال واستيعابهم بما وهبهم الله سبحانه وتعالى من قدرات عجيبة فيقول سبحانه:

- ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ (مريم: ١٢).

- أي أعطيناه الفهم للكتاب (التوراة) والفقه في الدين والإقبال على الخير وهو صغير حدث دون سبع سنين.

- كذلك كان النبي ﷺ حين يكتشف قدرات الأطفال ينميها ويشجع عليها ويدعو لهم فقد روي عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنه قال كان رَسُولُ اللَّه ﷺ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا مِنْ اللَّيْلِ قَالَ فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ يَا رَسُولَ اللَّه وَضَعَ لَكَ هَذَا عَبْدُ اللَّه بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ:

«**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**». [أخرجه أحمد في مسنده]

ابن عباس هذا ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات في شعب مكة الذي حاصرت فيه قريش رسول الله ﷺ وأُتي به بعد ولادته إلى رسول الله ﷺ فوضعه في حضنه وحنكه بريقه الشريف وبقي في مكة إلى عام الفتح وهو في السنة الثامنة للهجرة، وقد بلغ عمره إحدى عشرة سنة فكان يكثر التردد إلى بيت رسول الله ﷺ في الليل والنهار يشفع له في ذلك صغر سنه وقرابته من رسول الله ﷺ ومع صغر سنه فقد رأى جبريل عليه السلام مرتين.

-كذلك ظهر نبوغ العديد من أطفال الصحابة، فكان النبي ﷺ يشجعهم ويتابعهم ويدعو لهم فقد روي عن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، أنهما بايعا رسول الله ﷺ وهما ابنا سبع سنين، فلما رآهما رسول الله ﷺ تبسم، وبسط يده فبايعهما. [أخرجه الطبراني في الأوسط]

عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قال: لقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ غُلاَماً فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ أَنَّ هَا هُنَا رِجَالاً هُمْ أَسَنُّ مِنِّي.

[أخرجه مسلم]

-وكان النبي ﷺ يسأل الصحابة أسئلة ليثير اهتمامهم ويتعرف على إمكاناتهم من ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

«**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ، لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَلاَ يَتَحَاتُّ**».

فَقَالَ الْقَوْمُ هِيَ شَجَرَةُ كَذَا. هِيَ شَجَرَةُ كَذَا، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ. وَأَنَا غُلاَمٌ شَابٌّ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**».

وَعَنْ شُعْبَةَ حَدَّثَنَا خُبَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مِثْلَهُ وَزَادَ فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ فَقَالَ لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا. [أخرجه البخاري]

-ولقد تأسى صحابة رسول الله ﷺ بهذا الأسلوب النبوي ومنهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

فقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: فيم ترون أنزلت هذه الآية: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ (البقرة: ٢٦٦) (فقالوا: الله أعلم، فغضب عمر رضي الله عنه فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه: قل يا ابن أخي، ولا تحقر نفسك، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ضرب مثلا لعمل، فقال عمر رضي الله عنه أي عمل فقال: لرجل غني يعمل بالحسنات (وفي رواية بطاعة الله)، ثم بعث الله إليه بشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها.

[أخرجه ابن المبارك في الزهد، والبخاري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في كتر العمال في جامع الأحاديث]

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في المعضلات ويدعوه ويأخذ برأيه وكان يحضره مجالس أهل بدر فاعترض الصحابة على تقديمه وإجلاسه مع مشايخ الصحابة وقالوا ألا ندعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس فقال: (ذاكم فتى الكهول، له لسان سَؤُوْل وقلب عقول).

ودعاهم ذات ليلة ودعا ابن عباس رضي الله عنهما ليريهم فضله فسألهم عن تفسير سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) فقال بعضهم: لا ندري وبعضهم قال: أمرنا الله أن نحمده ونستغفره إذا جاء الفتح وانتصرنا.

قال عمر رضي الله عنه: يا ابن العباس كذاك تقول؟ قال: لا، قال: فماذا تقول؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو أجَلُ رسول الله أعلمه الله به، إذا جاء نصر الله، والفتح فتح مكة فذاك علامة أجله، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً.

فقال عمر ﷺ: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

- مما سبق ينبغي للوالدين والمربين معرفة أن في الأطفال طاقات عظيمة يجب أن تنمى ويحسن تغذيتها وتدريبها وتوجيهها لتغدو كما يريدون في مستقبلها، فإن حياة الطفل حياة عظيمة مفعمة بالحياة والنشاط والإبداع والذكاء والتفوق إذا أحسن تربيتها عادت بالخير على الأطفال وعلى الأهل والأمة فحياة الأطفال حياة أجيال قادمة، ومستقبل شباب زاهر، وأمة متفوقة.

- وقد تنبه أجدادنا الأوائل من السلف الصالح لهذا الأمر فظهر بفضل عنايتهم ورعايتهم لأطفالهم العلماء والفقهاء والأدباء والمخترعون والفلاسفة والأطباء والمهندسون والعظماء والفاتحون الذين ملؤوا الدنيا بالحضارة المشرقة والإنسانية المميزة، حتى أن العالم ابن ظفر المكي كتب كتاباً أسماه (أنباء نجباء الأبناء) ولقد كان نبوغ علماء السلف من أئمة الفقه والحديث وغيرهم يظهر منذ نعومة أظفارهم وسوف نمر على أكثرهم عندما نتحدث عن حفظهم للقرآن الكريم وهم صغار ولكن يحسن أن نذكر هنا أن ابن الجوزي طلب العلم وجلس مجالس العلماء وهو ابن سبع سنين.

وكذلك النووي قال والده متحدثاً عنه كان نائماً إلى جنبي فانتبه في نحو منتصف الليلة السابعة والعشرين من رمضان وكان عمره سبع سنين فأيقظني وقال: ما هذا النور الذي قد ملأ الدار فاستيقظ أهله جميعاً ولم نرَ شيئاً فعرفت أنها ليلة القدر قد تجلت عليه.

- فما أجمل أن أذكر بعض نتائج هذه التربية للذكرى والاعتبار من أجل الاهتمام بتربية أطفالنا علهم يبلغون ما بلغ أطفال سلفنا الصالح.

- روى الحافظ ابن عساكر أن عبد الله بن الزبير كان يلعب مع بعض أترابه من الصبيان، فمر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، ففر الصبية خوفاً من

الفاروق وبقي ابن الزبير في مكانه لا يَريم (لا يبرح ولا يفارق) فأقبل عليه عمر وقال له: مالك لم تفر مع أصحابك يا غلام؟

فرد عليه عبد الله ببساطة وبراءة: يا أمير المؤمنين لست مذنباً فأخافك وليست الطريق ضيقة فأوسع لك فيها.

- وجاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري ما نصه:

(حكى البويطي عن الشافعي ﷺ أنه كان في مجلس مالك بن أنس ﷺ وهو غلام، فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه، فقال: إني حلفت بالطلاق الثلاث إن هذا البلبل لا يهدأ من الصياح.

فقال له مالك: قد حنثت، فمضى الرجل، فالتفت الشافعي ﷺ إلى بعض أصحاب مالك فقال: إن هذه الفتيا خطأ فأخبر مالك بذلك، وكان مالك ﷺ مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يرى لمحه، وربما جاء صاحب الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس في مجلسه، فقالوا لمالك: إن هذا الغلام يزعم أن هذه الفتيا إغفال وخطأ! فقال له مالك: من أين قلت هذا؟، فقال له الشافعي: ألست أنت الذي رويت لنا عن النبي ﷺ في قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها عندما قالت للنبي ﷺ: (إن أبا جهم ومعاوية خطباني)، فقال ﷺ: (أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له)، فهل كانت عصا أبي جهم دائما على عاتقه؟ وإنما أراد من ذلك الأغلب، فعرف مالك محل الشافعي ومقداره.

قال الشافعي: فلما أردت أن أخرج من المدينة جئت إلى مالك فودعته، فقال لي مالك حين فارقته: يا غلام اتق الله تعالى ولا تطفئ هذا النور الذي أعطاكه الله بالمعاصي يعني بالنور: العلم، وهو قوله تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ (النور: ٤٠).

- وجاء في كتاب (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي ما نصه:

(عن مجاشع بن يوسف قال كنت بالمدينة عند مالك وهو يفتي النـــاس فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهو حدث (صغير) فقال: ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد فقال مالـــك لا يـــدخل الجنـــب المسجد، قال: فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء قال فجعـــل مالك يكرر لا يدخل الجنب المسجد فلما أكثر عليه قال له مالك: فما تقول أنت في هذا قال يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ويخرج فيغتسل، قـــال من أين أنت؟ قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض فقال ما من أهل المدينـــة أحد لا أعرفه، فقال ما أكثر من لا تعرف ثم نهض، قالوا لمالك هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة فقال مالك: محمد بن الحسن كيف يكذب وقـــد ذكر أنه من أهل المدينة قالوا إنما قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض قـــال: هذا أشد علي من ذاك).

- جاء في كتاب (مناقب أبي حنيفة) للإمام موفق بن أحمد المكي ما نصه:

(قال مِسْعَر: كنت أمشي مع أبي حنيفة فَوَطِئَ على رجل صبي لم يره، فقال الصبي لأبي حنيفة: يا شيخ ألا تخاف القصاص يوم القيامة قال: فغـــشي على أبي حنيفة فأقمت عليه حتى أفاق، فقلت له: يا أبا حنيفة ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الصبي، قال: أخاف أنه لقن).

- وجاء في (مقدمة حاشية ابن عابدين) ما نصه:

(رأى الإمام أبو حنيفة غلاماً يلعب بالطين فقال له: يـــا غـــلام إيـــاك والسقوط في الطين، فقال الغلام للإمام: إياك أنت من السقوط، لأن سقوط العالِم سقوط العالَم.

فكان أبو حنيفة لا يفتي بعد سماع هذه الكلمة إلا بعد مدارسة المسألة شهراً كاملاً مع تلامذته).

- وما أجمل أن نذكر في هذا المقام قول ابن عباس رضي الله عنهما: (ويلٌ للأتباع من زلة العالِم).

قيل وكيف ذلك؟ قال: يقول العالم الشيء برأيه فيلقى من هو أعلم برسول الله ﷺ منه فيخبره ويرجع، ويقضي الأتباع بما حكم.

[أخرجه البيهقي وابن عبد البر والخطيب بإسناد حسن]

وفي ذلك يقول الشاعر:

إنّ الكبير إذا هوى وأطاعه قومٌ هَوَوْا معه فضاع وضَيَّعا

مثل السفينة إن هوت في لجة غرقت ويغرق كل من فيها معا

- وجاء في كتاب (أنباء نجباء الأبناء) لابن مظفر المكي ما نصه:

(بلغني أن أبا السري منصور بن عمار رحمه الله (وهو من وعاظ أهل التصوف) أصاب أمَّه وجعُ الولادة، وعندها قابلتها وهو صبيٌ بين يديها.

فقالت له: يا منصور بادر إلى أبيك فادعوه.

فقال لها: أتستعينين في حالة الشدة بمخلوق لا يضر ولا ينفع وأكون أنا رسولك إليه؟.

قالت: الساعة أموت، قال لها: قولي يا الله أغثني فقالت ذلك، فانسدلق جنينها من ساعته.

- وجاء في كتاب (الكفاية في علم الرواية) للخطيب البغدادي ما نصه:

(سمعت أحمد بن النضر الهلالي، قال: سمعت أبي يقول: كنت في مجلس سفيان بن عيينة فنظر إلى صبي دخل المسجد، فكأن أهل المجلس تهاونوا به

لصغر سنه، فقال سفيان:

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء: ٩٤).

ثم قال: (يا نضر، لو رأيتني ولي عشر سنين، طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار، أختلف إلى علماء الأمصار، مثل الزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا دخلت المجلس قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير، أوسعوا للشيخ الصغير، قال: ثم تبسم ابن عيينة وضحك، قال أحمد وتبسم أبي وضحك).

- جاء في كتاب (تذكرة الآباء وتسلية الأبناء) لابن العديم ما نصه:

(دخل ابن الحسين بن الفضل (العلامة المفسر) على بعض الخلفاء، وعنده كثير من أهل العلم فأحب أن يتكلم فزجره وقال: أصبيٌ يتكلم في هذا المقام؟.

فقال: إن كنت صبياً فلست أصغر من هدهد سليمان، ولا أنت أكبر من سليمان حين قال له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ (النمل: ٢٢)، ثم قال: ألا ترى أنه فهّم الحكم لسليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى!

يقصد قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء: ٧٨ – ٧٩).

النفش: الرعي ليلاً.

نفشت: رعت ليلاً بلا راعٍ بأن انفلتت من حظيرها.

شاهدين: حاضرين عالمين بحكمهم.

ففهمناها سليمان: دليل على إظهار ما تفضل الله به عليه مع صـــغره، أي واذكر قصتهما في حكم الزرع وهي أن راعي غنم رعت غنمه زرع فلاح ليلاً، فاحتكما إلى داود عليه السلام فحكم بالغنم لصاحب الحرث (الزرع)، فقـــال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة: غير ذلك أمر بتسليم الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها، وتسليم الحرث إلى أرباب الغنم يتعهدونه بالمطلوب حتى يعود إلى ما كان، ثم يترادّانِ (و كان حكمهما باجتهاد).

– وقد وفد إلى عمر بن عبد العزيز وفدٌ فتقدم غلامٌ ليتكلم باسم الوفد فاستصغره وقال: ليتكلم من هو أكبر منك سناً فقال: الغلام: يا أمير المؤمنين لو كان المرء يُقدَّم بسنه لكان بين المسلمين من هو أحق منك بالخلافة، ولكن الله إذا رزق العبد عقلاً حافظاً، ولساناً لافظاً، كان جديراً بالكلام فأعجـــب به عمر وسمح له بالكلام فأجاد فقال عمر:

تعلم فليس المرء يولـــد عالمـــاً وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنـــده صغير إذا التفت عليه المحافـــل

المحافل: الجموع من الناس يسألونه.

– وهذا غلامٌ آخر يتصدر وفداً إلى هشام بن عبد الملك فيغضب، ويقول مخاطباً حجّابه: أتدخلون علي من أراد حتى الصبية؟

فقال الغلام: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فرد الأمير السلام.

فقال الغلام: أيها الأمير إن دخولي عليك لم يـــضرك وقـــد شـــرفني، والقوم أتوك بحاجاتهم، وهي بين طي ونشر فإن شئت طويتها وانصرفنا، وإن شئت نشرتها.

فقال هشام بن عبد الملك: انشرها.

فقال الغلام: لقد أصابتنا ثلاث سنين عجاف، سنة أكلت اللحم، وسنة أذابت الشحم، وسنة دقت العظم، وقد بلغنا أنّ لديك فضول أموالٍ، فإن كانت للناس فوزعها عليهم، ولا يحق لك حبسها عنهم، وإن كانت لله فوزعها على عباده، فما كان لله فهو لعباده، وإن كانت لك فتصدق بها على المحتاجين، والله يحب ويجزي المحسنين.

فقال هشام: والله ما تركت لي مخرجاً، ولا حجةً، ولا حيلةً، وأعطاهم ما يريدون وفرض له مبلغاً رده الغلام على قومه و لم يرض أن ينفرد به.

– وجاء أبو النظام (وهو من كبار علماء النسب) بولده إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (إمام في علوم العربية) ليمتحنه ويضعه في الصف المناسب له.

فقال له الخليل: يا غلام صف لي هذه الكأس (وهي من زجاج)؟.

فقال: أأمدحها أم أذمها؟، قال: امدحها.

فقال: تريك القذى، وتقيك الأذى، ولا تستر ما ورى.

فقال: ذمها، فأجاب: سريعٌ كسرها بطيءٌ جبرها مؤلم جرحها.

فقال: صف لي هذه النخلة؟، فقال: بمدح أم بذم؟.

قال: امدحها، فقال: ناضرٌ أعلاها، (حسن رونقها)، حلوٌ مجتناها، باسقٌ منتهاها (طويل منتهاها).

فقال: ذمها، فقال الغلام صعبة المرتقى، بعيدة المجتنى (التقاط الثمر)، محفوفة بالأذى.

فقال له الخليل: يا غلام نحن أحوج إلى أن نتعلم منك.

– وهذا الشاعر البحتري يرى غلاماً في مجلس الأمير وحوله الشعراء ينشدون شعرهم.

فسأل البحتري الغلام: لَمَ وجودك هنا بين الشعراء؟، قال: إنني أتقن الشعر.

فأراد البحتري أن يمتحنه فقال: أتمم هذا الشطر، واجعله بيتاً من الشعر: ليتما بين من أحب وبيني.....

فقال الغلام: أتريد القرب أم البعد؟

فقال: فإن أردت القرب فما تقول؟، قال: أقول:

ليتما بين من أحب وبيني مثل ما بين حاجبي وعيني

قال البحتري: فإن أردت البعد فما تقول؟، فقال الغلام: أقول:

ليتما بين من أحب وبيني مثل ما بين ملتقى الخافقين

فأعجب البحتري بذكاء الغلام، وحدث به الأمير المتوكل فأحسن إليه وأكرم أهله.

– من كل ما سبق نجد أن في الأطفال طاقات عظيمة يجب على الوالدين أن ينمياها ويحسنا تغذيتها وتدريبها وتوجيهها لتغدو كما يريدان في مستقبل أطفالهما فإن حياة الطفل حياة فخمة مفعمة بالنشاط والحيوية والذكاء والإبداع وهي ليست حياة فرد بل هي مستقبل أسرة لا بل مستقبل أمة فاعتبروا يا أولي الأبصار.

❁ ❁ ❁

أمل المسلم في تربية أولاده

بعد أن يحقق الله للمؤمن أمله في إنجاب الأولاد، يسعى هذا المؤمن لتحقيق أمله في أولاده وذلك بأن يراهم ذكوراً وإناثاً على أعلى مستوى في الدين والدنيا وفي الأخلاق والآداب، وفي المكانة والرفعة وفي النجاح والتوفيق، فيرفع رأسه بهم عالياً، ويباهي بهم عند الله وأمام النبي ﷺ يوم القيامة، فهو يراهم ذخراً له في الدين والدنيا والآخرة.

فالأولاد هم نور العيون، وعطر الحياة، ودقات القلوب، وهم الذكرى الممتدة للوالدين في حياتهما وبعد موتهما، فالوالدان يجوعان ليشبع الأولاد، ويتعبان ليستريحوا، ويسهران لينام، ويمرضان ليصحّوا.

وهذا الأمل في الأولاد عند المؤمن يظهر من خلال دعاء عباد الله الصالحين حين ناجوا ربهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان: ٧٤)

وعبارة (قرة أعين) هي أعظم عبارة بلاغية تدل على المستوى العالي الرفيع من السرور والغبطة والرضا التي تجعل الإنسان يستغرق في نوم هادئ دون قلق أو حيرة أو تفكير أو خوف أو حزن، لأن الله حقق له ما يريد وجعل له من زوجته وأولاده ما يسره ولا ينغض عليه حياته.

- وأنا أفهم من هذه الآية أنَّ الوصول إلى هذا الأمل وهذه الرغبة في الزوجة والأولاد مرهون بأن يكون المؤمن تقياً، بل وعلى أعلى مستوى من التقوى، بأن يكون للمتقين إماما.

ومن أجل أن يتحقق للمؤمن هذا الأمل في أولاده لابد له من أن يسأل الله ﷻ دائماً أن يهديه الصراط المستقيم في دينه ودنياه وآخرته، وفي كل شؤون حياته، وخاصة شأن تربيته لأولاده، (صراط الذين أنعم الله عليهم).

فقد أوجب الله على كل مسلم مصلٍ أن يقرأ سورة الفاتحة في كل ركعة من فرض أو سنة أو نافلة وفيها يقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة: ٦-٧).

فهو في طلب دائم مستمر أن يهديه الله إلى هذا الطريق المستقيم، ومع أن المصلي قد هداه الله إليه ولولا هداية الله له لم يصل، لكن المقصود من الهداية في هذه السورة الهداية الخاصة، والهداية الخاصة هي فضل من الله سبحانه وتعالى، ومنحة وهبة وذلك بأن يتولى الله عبده بالعناية والحفظ والتوفيق، وقد بين الله سبحانه وتعالى الطريق إليها وذكر من خصهم بها في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ﴾ (النساء: ٦٩).

ولكونِ الأولاد بهذه الأهمية، ومن أجل أن يتحقق للوالدين آمالهما في أولادهما، كان عليهما أن يتحملا مسؤوليتهما كاملة في تربية أولادهما، حتى لا ينقلب الأولاد إلى هم وغم وحزن ووبال، وآلام لا ينوء بها الوالدان.

ولقد بيّن الله ﷻ للمؤمنين أن الأولاد من جملة فتنة هذه الحياة، وامتحاناتها، فقال سبحانه: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٨ ﴾ (الأنفال: ٢٨).

وقد وصف رسول الله ﷺ أثر الأولاد في تصرفات العبد فيما رواه الترمذي بسنده عن عمر ابن عبد العزيز قال: ((زَعَمَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ قَالَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ مُحْتَضِنٌ أَحَدَ ابْنَيَ ابْنَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنَّكُمْ لَتُبَخِّلُونَ وَتُجَبِّنُونَ وَتُجَهِّلُونَ وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ اللَّهِ**». [أخرجه الترمذي]

[الريحان: نبات معروف طيب الرائحة ويطلق أيضاً على كل نبات طيب الرائحة، والريحان أيضاً هو الرحمة والرزق وجاء الحديث بهذا المعنى].

وحتى لا تتحقق تلك المعاني التي ذكرت في الحديث حذر الله ﷻ المؤمنين أن يصبح الأولاد من أسباب البعد عن الله ﷻ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ (المنافقون: ٩)

وينبغي للمؤمن أن يعلم أنه من أجل أن يحقق آماله في أولاده، يجب أن يعمل بالأسباب والمسببات المؤدية لذلك ملتجأً إلى الله في تحقيق آماله، وأن يعلم أن هناك أقداراً مقدرة من الله لا يستطيع ردها فيها حكمته سبحانه، لا يعلمها إلا هو ﷻ تقدر لإنسان عمل بكل جهده في تحصين أولاده لتحقيق آماله المرجوة منهم، فلا يتحقق له ذلك، فقد يصبح الولد أحياناً عدواً عندها يجب الحذر منه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ (التغابن: ١٤).

بل وقد يكون الولد سبباً في انحراف الأب وكفره، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١﴾ (الكهف: ٨٠-٨١).

يرهقهما: والمعنى أن يلقيهما حبه في إتباعه فيضلا ويتدينا بدينه، فقد جاء في حديث مسلم عن أبي كعب ﷺ قال، قال ﷺ: «**طبع كافراً، ولو عاش لأرهقهما وذلك لمحبتهما له فيتبعانه في ذلك**».

زكاة: صلاحاً وبراً.

رحماً: براً بالوالدين.

وقد أطلع الله الخضر على حال هذا الغلام واسمه شمعون وأنه سيكون كافراً، فقتله، فأبدلهما تعالى به فتاة تزوجت نبياً، وولدت نبياً فهدى الله تعالى به أمة كاملة.

فقدر الله قتل هذا الغلام على يد الخضر ولم يعرف سيدنا موسى السبب إلا بعد أن عرفه الخضر بحكمة الله في هذا التقدير.

وكم عمل سيدنا نوح وهو النبي المرسل والداعية الناجح من أجل ولده وتحقيق آماله الخيرة فيه، ولكن الولد مع كل ما قدمه والده لم يستمع إليه، حدثنا القرآن بذلك فقال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ (هود: ٤٢-٤٣).

لقد كان الوالد نوحٌ عليه السلام يريد الخير لابنه، والابن يتكبر ويتجبر ويعصي الله ووالده فأخبر الله ﷻ نوحاً بأمر هذا الابن بقوله: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (هود: ٤٦).

– قال القرطبي في تفسيره: (وكان ابنه يسر الكفر ويظهر الإيمان، فأخبر الله تعالى نوحاً بما هو منفرد به من علم الغيوب، أي علمت من حال ابنك ما لم تعلمه أنت.

وقال الحسن: كان منافقا، ولذلك استحل نوح أن يناديه).

والسؤال هنا ما هي الواجبات الملقاة على هذا الوالد المؤمن التي ينبغي له القيام بها ليتحقق له هذا الأمل العظيم في أولاده من حيث الأسباب والمسببات؟

ويجيب على هذا السؤال الدعاة والمربون والعلماء العاملون، ورثة الأنبياء والمرسلين الذين ورثوا العلم وقاموا بمهمة الدعوة والتربية، وأنشؤوا جيلاً مؤمناً فكان لهم من هذا العلم والدعوة إليه، وهذه التربية الناجحة للأجيال تجربة نظرية وتطبيقية، وعلمية وعملية، تجسدت في واقع ملموس مشاهد للعيان.

يجيبون على هذا السؤال بقولهم:

إن تحقيق الأمل في تربية الأولاد يبدأ من قبل الزواج ضمن خطوات أساسية لابد منها:

الخطوة الأولى:

أن يكون هذا المؤمن باراً بوالديه فإن البر يسري إلى الأولاد والأحفاد، قال رسول الله ﷺ:

«**بِرُّوا آباءَكُم تَبَركُّم أبناؤُكُم**». [أخرجه الحاكم في مستدركه]

بالإضافة إلى أن دعاء الوالدين لأولادهم بالذرية الصالحة له أثر كبير بتحقيق آمال المسلم في أولاده لأن دعاء الوالدين مستجاب كما بيّن النبي ﷺ ذلك.

الخطوة الثانية:

أن يهيئ المؤمن نفسه لهذه المهمة وهي أنه سيكون أباً لأولاد فينبغي أن يكون مثلاً أعلى لهم في الإيمان والصلاح والتقوى، وهذا يدفعه إلى أن يتخلى عن كل عادة سيئة وأن يسعى إلى التخلق بأخلاق الإسلام وآدابه وسلوكه وتوجيهاته.

فكيف يتحقق لأبٍ مدخنٍ أمله في أولاده ألا يصبحوا مثله، وهل يغني شيئاً قوله لولده:

إن أصدقاء السوء قد علموه التدخين، وإني أنصحك يا بني بعدم التدخين أو الاقتراب منه لأنه مضر؟ وكيف يطلب والد – مخادع كذاب باطنه مخالف لظاهره– من ولده أن يكون صالحاً وهو لا يتصف بصفات الصلاح؟

الخطوة الثالثة:

أن يسعى هذا المؤمن إلى اختيار الزوجة الصالحة التي تساعده على تحقيق هذا الأمل العظيم في أولاده، فيختار الزوجة التي أرشد إليها النبي ﷺ بقوله:

«**فاظفر بذات الدين تربت يداك**». [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

أي: إذا أردت أن تمتلئ يداك بالخيرات وتنال بغيتك من المسرات فعليك بهذه الزوجة المؤمنة (ذات الدين) والمقصود بذات الدين ليست التي تؤدي فرائضها فقط وإنما التي تمتلك العقل والقلب والنفس والروح الإيمانية، وتقوم بتطبيق تعاليم الدين كاملة وفي كل شؤون الحياة باتزان واعتدال دون إفراط أو تفريط.

وعلى الزوج أيضاً أن يتحرى أرومة النسب وأصالة الشرف والصلاح والطيب في العائلة التي يختار منها زوجة له، فقد روت السيدة عائشة رضي

الله عنها مرفوعاً: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس فاظفر بذات الدين**».

[أخرجه ابن ماجه والدار قطني والحاكم وابن عدي]

الخطوة الرابعة:

أن يسعى هذا المؤمن على أن يكون رزقه حلالاً طيباً حتى ينشأ أولاده على الحلال وحتى لا يدخل في جوفهم لقمة حرام، ولهذه الخطوة أهمية كبيرة في تحقيق هذا الأمل عملاً بقول النبي ﷺ: «**طَلَبُ الْحَلالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ**». [أخرجه الطبراني في الكبير عن عبد الله]

«**طلب الحلال واجب على كل مسلم**».

[أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك]

«**طلب الحلال جهاد**». [أخرجه القُضاعي في الشهاب عن ابن عباس]

وقد فهم بعض العلماء مما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**». [أخرجه أبو داود]

أن هذه الإضاعة ليست في تربية الأولاد فقط، وإنما في إطعامهم الحرام.

حدثني من ذكرت له ذلك بهذه القصة التي حدثت منذ مئة عام تقريبا عن بائعٍ للعرق سوس في أحد الأحياء بمدينة دمشق كان يتجول بقربته الجلد وهو يبيع شراب العرق سوس وهو يصيح: «عرق سوس بارد».

وإذا ببعض الأولاد يصيح منبهاً البائع بأن أحد الأولاد قد قام بثقب قربته بمسلة يحملها بيده ومص من شراب السوس خمس مصات.

وقف البائع حزيناً من هذا الفعل وقام بإصلاح قربته، فقال أحد المارة: لو شكوته لوالده.

فقال البائع: ومن والده حتى أشكوه إليه؟

فقال المتكلم: هو إمام الحي.

فقال البائع: وكيف أشكوه وأبوه إمامنا؟

فقال الرجل: إنه سوف يسعد بشكواك وسيقوم بتأديب ابنه وإصلاح خطئه.

وصلى بائع السوس صلاة العشاء وراء الإمام وبعد انتهاء الصلاة قام البائع إلى الإمام وأخبره بفعل ابنه.

فقال الشيخ بعد سكوت وحزن: أجيبك غداً بعد صلاة الظهر.

عاد الشيخ إلى بيته وحدث امرأته بالأمر فقال لها: أنا أسعى إلى الرزق الحلال و لم أطعمك حراماً قط فلماذا حدث ذلك.

فقالت زوجته بحزن ودهشة: لا أعلم.

فقال الشيخ: فكري بالأمر إلى صلاة الفجر وإذا لم تجدي جواباً اجمعي أمتعتك لآخذك إلى بيت أهلك دون رجعة.

بكت الزوجة كثيراً، و لم تنم طول الليل، وهي تفكر بهذا الأمر، وعند أذان الفجر قال الشيخ لزوجته: هل وجدت الجواب؟

قالت الزوجة وهي تبكي: لا.

قال الشيخ: فا جمعي أمتعتك لآخذك إلى دار أهلك بعد صلاة الفجر.

وعاد الشيخ بعد صلاة الفجر مكتئباً حزيناً وإذا بزوجته فرحة وهي تقول: لقد وجدتها.

فسألها عن سبب ذلك، فقالت: عندما كان ابننا جنيناً في بطني في أشهره الأولى وكنت في حالة (وحام) قرع بابنا وإذا بفلاح يحمل سلة فيها رمان ناضج فقال: هذه أمانة لجيرانكم أعطوهم إياها عند عودتهم، فلما نظرت إلى

هذا الرمان وأنا بهذه الحالة وسوس إلي الشيطان أن آكل إحداها فامتنعت عن ذلك وجرى حديث النفس مع الشيطان مدة من الزمن فما وجدت نفسي إلا وقد أخذت الإبرة التي أخيط بها الثياب وأدخلتها في إحدى الرمانات ثم امتصصت من شرابها الحامض وقد كررت ذلك خمس مرات.

هز الشيخ رأسه وهو يبكي وقال: تلك بهذه ثم فتح كيس نقوده وأعطاها ما فيه وقال: اشتري فعلتك بهذا المال، ولا تعودي بالمال أبداً ثم تعالي لنستغفر الله ﷻ ونتوب إليه وندعو أن يصفح عن غفلتنا تلك.

ولما صلى الشيخ إماماً صلاة الظهر أسرع إليه بائع السوس وقال: يا إمام لقد كان ابنك اليوم أول زبائني أعطاني قرشاً ليشتري كوباً من السوس فماذا حدث؟.

قال الشيخ: صالحنا الله، فصالحنا.

الخطوة الخامسة:

أن يكون المؤمن دائم الالتجاء إلى الله ﷻ بأن يهبه الذرية الصالحة فلقد كان الأنبياء مع كامل صلاحهم يلتجئون إلى الله ﷻ أن يجعلهم وذريتهم من الصالحين، يقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ (الصافات: ١٠٠-١٠١).

ويقول أيضاً: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ (إبراهيم: ٤٠).

ويقول على لسان إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة: ١٢٨).

الخطوة السادسة:

أن يسعى الزوجان للعمل الصالح ليصلح أولادهم ويحفظوا بصلاح والديهم، عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ يُصْلِح بِصلاحِ الرجلِ الصالحِ ولدَهُ وولَدَ ولدِه، وأهلَ دُوَيْرَته** (كل من يسكن معه في الدار)، **وأهل دويرات حوله** (جيرانه)، **فما يزالون في حِفْظِ الله ما دام فيهم**».

[أخرجه ابن مردويه، وأورده السيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة الكهف]

قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ (الكهف: ٨٢).

قال القرطبي: فيه دليل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي أولاده وإن بعدوا عنه وقد روي أن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته، وعلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ (الأعراف: ١٩٦).

ولقد كان سهل التستري يتعهد ولده وهو في صلبه فيباشر إلى العمل الصالح رجاء أن يكرمه الله تعالى بالولد الصالح فيقول: (إني لأعهد الميثاق الذي أخذه الله تعالى علي في عالم الذر وإني لأرعى أولادي من هذا الوقت، إلى أن يخرجهم الله تعالى إلى عالم الشهود والظهور). [حاشية ابن عابدين ص٥٣٢]

الخطوة السابعة:

العمل الجاد على أن تكون ليلة العرس ليلة شرعية ليس فيها معصية لله عز وجل حتى تكون فاتحة خير في الزواج وما يكون بعده من ذرية وذلك بتعهد برنامج الاحتفال بها عند الذكور وعند الإناث بما يرضي الله ﷻ والانتباه إلى عدم القيام بالعادات السيئة المخالفة للشرع والتي يقوم بها أكثر الناس في احتفال تلك الليلة.

الخطوة الثامنة:

بدء تحقيق الأمل في تربية الأولاد منذ اللقاء الأول للزوجين ضمن إرشاد النبي ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّه، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**». [أخرجه البخاري]

فإن قدر الله ﷻ من هذا اللقاء الولدَ يكون الوالدان قد حققا المراحل الأولى التي أرشد إليها المنهج النبوي قبل تكون الجنين، وتأتي بعد ذلك المراحل الأخرى التي سنتحدث عنها في الفصول التالية.

❁ ❁ ❁

أولاً- التربية في مرحلة الجنين

ينبغي للوالدين متابعة التطور الجنيني الذي ذكره النبي ﷺ بقولـــه: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِـــكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِـــأَرْبَعِ كَلِمَـــاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**».

[أخرجه البخاري عن زيد بن وهب رضي الله عنه]

رزقه: تقديره، قليلاً أو كثيراً، وصفته حراماً أو حلالاً.

وأجله: طويلاً كان أو قصيراً، وهو مدة الحياة.

وعمله: صالحاً كان أو فاسداً.

وشقي أو سعيد: المراد أنه تعالى يظهر ما ذكر مـــن الـــرزق والأجـــل والعمل والشقاوة والسعادة للملك، ويأمره بكتابته وإنفاذه.

والمقصود بهذه الكلمات الأربع أن يكون المؤمن على يقين بأن رزقـــه وأجله تقدير من الله وقدر لا اختيار للإنسان فيهما.

أما عمله فهو مكان الاختبار والابتلاء الذي تحـــدث الله تعـــالى عنـــه بقولـــــــه: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ (الملك: ١-٢).

فالعلم من صفات الله ﷻ فهو لا يخفى عليه شيء مما كان أو هو كائن أو سيكون من أعمال عباده فإن الله يطلع هذا الملك عليها ليقوم بكتابتها لهذا العبد.

وشقي أو سعيد هي نتيجة أعمال العبد واختياراته لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ (الإنسان: ٣).

ولقد بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ (الزمر: ٧).

ومع كل ذلك فإن المؤمن على يقين بما يخص هذه الكلمات الأربع بالآية التي يقول فيها سبحانه: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ (الرعد: ٣٩).

ويظهر عمق هذه الآية في مفهومها عند المؤمن من آيات وأحاديث مغفرة الذنوب وقبول التوبة وزيادة الرزق وإطالة العمر.

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (فاطر: ١١).

وقال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ (الزمر: ٦).

وهذه الظلمات الثلاث هي: ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين، وظلمة الرحم الذي يغلف هذا الكيس، وظلمة البطن الذي تستقر الرحم فيه.

تصرفون: أي كيف تصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره.

وينبغي للزوجين أن يوليا الفترة التي يقضيها الجنين في رحم أمه والظروف التي يمر بها خلال تلك الفترة أهمية كبرى من خلال علاقة الجنين

العضوية بأمه ومدى تأثير ذلك على مستقبل حياته ولاسيما على تلك الصفات والسلوكيات التي تبنى عليها شخصيته الجسدية والوجدانية والإيمانية والاجتماعية والصحية.

فالطفل يكون خلال الفترة الجنينية أشبه بعضو من أعضاء أمه ويتأثر بالعوامل والظروف التي تعيشها الأم على الصعيدين الداخلي والخارجي والتي تؤثر في صحتها الجسدية والنفسية والعاطفية سواء كان هذا التأثير إيجابياً أو سلبياً.

ومن هنا يأتي الاهتمام بالمرأة الحامل والعناية بها وتوفير ما تحتاجه من المستلزمات الضرورية لمساعدتها في اجتياز هذه المرحلة بصورة سليمة من دون أن تترك أية انعكاسات سلبية في نمو الجنين وتكوين سماته قبل الولادة ومن ثم نموه وتطور شخصيته بعد الولادة.

وهذه المستلزمات كثيرة ومتنوعة يمكن إجمالها بالأمور التالية:

أولاً: عناية الأم بجنينها من خلال تحدثها معه وقيامها بإسماعه القرآن الكريم والأناشيد الإيمانية فقد أثبتت الدراسات أن الجنين يتعرف على صوت والدته ووالده وإخوته ويسر بسماعهم ويتأثر بكل ما يسمعه منهم لذلك فإن الزوجين المؤمنين يحرصان على أن يسمع هذا الجنين منهما ومن جميع أفراد الأسرة القرآن الكريم والأناشيد الإيمانية التي يظهر اهتمامه بها بعد ولادته.

أما إن سمع الضجيج والخلافات والغناء والرقص الماجن والأصوات الصاخبة والكلمات المائعة فسوف تؤثر فيه سلباً أيضاً.

ثانياً: يجب العناية بطبيعة الأغذية التي تتناولها الأم الحامل وتوازن هذه الأغذية في الحدود المقبولة فهي تعد من العوامل الأساسية في سلامة بنية الجنين طفل المستقبل ورشاقة قوامه وصحة حواسه العامة.

ثالثاً: العناية الطبية بالأم الحامل وإبعادها عما يعرضها للإصابة بالأمراض، ولاسيما الأمراض الفيروسية لنضمن للجنين نمواً سليماً ونقلل من فرص إصابة الطفل بالأمراض فيما بعد، وهذا يستدعي أن تراجع الأم الطبيبات المختصات بشكل دوري والتقيد بإرشاداتهن.

رابعاً: إن الأم الحامل إذا تعرضت للتعب والإرهاق العصبي والتوتر النفسي وغير ذلك من العوامل السيئة يجعل طفلها في المستقبل بعد الولادة سريع الانفعال عصبي المزاج يصعب التعامل معه في كثير من الأحيان.

أما الأم الحامل التي تعيش فترة الحمل في حالة السعادة والهدوء والاستقرار النفسي سيكون طفلها بعد الولادة هادئ الأعصاب مرحاً ومبتسماً يحب الآخرين ويحبونه.

خامساً: إن إكثار الأم الحامل من تناول الفواكه والخضار التي تحتوي على كميات كبيرة من فيتامين (B) يساعد طفلها –فيما بعد– على التكلم وفي وقت مبكّر ويبعده عن الإصابة بعاهة التلعثم ويسهل عليه فيما بعد تعلم القراءة السليمة.

سادساً: إن إكثار الأم الحامل من التوابل والأطعمة الحارة، يعرض الطفل بعد الولادة إلى الإصابة بالمرض الجلدي (الأكزما).

سابعاً: إن ممارسة الأم لعادة التدخين السيئة وتناولها الأدوية بكثرة دون استشارة المختصين يعرضان الجنين للإصابة ببعض أمراض الدم التي تنتهي بالوفاة المبكّرة أو إلى إحداث تشوهات في الوجه أو العيون، أو مشكلات عقلية ونفسية.

وعلم الأجنة يتطور بسرعة وينبغي للوالدين متابعة كل ما يتعلق بهـــذا العلم وما يقوم حوله من دراسات ونظريات حديثة للعمل وفقها والاستفادة منها ليتحقق للزوجين أمل التربية الصحيحة في أول مراحلها.

وهذا كله يؤكد أن الظروف التربوية الخاصة التي يمر بهـــا الطفـــل في مرحلته الجنينية إما أن تؤدي إلى سعادته وإما إلى شقائه، وربمـــا إلى انعـــدام حياته قبل أن يرى نور الدنيا.

وأخيراً: ينبغي للوالدين في أثناء فترة الحمل أن يلتجئا إلى الله دائماً بالدعاء بأن يتمم الحمل على أحسن حال، وأن يجعل الجنين كاملاً ويحفظه ويرعاه من كل سوء، فقد بذر الوالد بذار الجنين في تربة الأم المؤمنة الطاهرة، والله هو الخالق والمصور كيف يشاء قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (المرسلات: ٢٠-٢٣).

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ (آل عمران: ٦).

وينبغي للوالدين أن يطلبا من الصالحين الدعاء لهما، وأن يتصدقا بنية أن يتفضل الله عليهما بمولود معافى صحيح البنية.

ثانياً- التربية في مرحلة الولادة إلى الحولين

١- الطلق والولادة:

فإذا حان الوقت المقدر من الله ﷻ لخروج الجنين من بطن أمه شعرت الأم بالطلق وإن للطلق آلامه الشديدة ومتاعبه الجسدية والنفسية، ولحظة خروج المولود من اللحظات الحرجة لكلا الزوجين. لذلك يجب عليهما وعلى من حولهما التوجه إلى الله بالدعاء بأن يسهل الولادة وأن يجعل المولود سليماً في خلقه وعقله وصحته.

قال الشيخ أبو المظفر المكي: (بلغني أن أبا السري بن منصور بن عمار رضي الله عنه أصاب أمه وجع الولادة وعندها قابلتها، وهو صبي بين يديها فقالت له: يا منصور بادر إلى أبيك فادعه، فقال لها: أتستعينين في حالة الشدة بمخلوق لا يضر ولا ينفع وأكون أنا رسولك إليه، قالت: الساعة أموت. قال لها: قولي يا الله أغثني، فقالت ذلك فاندلق جنينها من ساعته). [أنباء نجباء الأبناء]

عندما يأذن الله بالولادة ويأتي المولود صائحاً باكياً يجب أن يستقبل الوالدان والأقارب والأهل المولود بكل حفاوة وابتسام وسرور سواء أكان المولود ذكراً أم أنثى فمن رضي بمولوده فقد رضي عن فعل الله ﷻ وإرادته، ومن سخط من مولوده فكأنما سخط من فعل الله ﷻ وإرادته لأن الله ﷻ هو المقدر والرازق والواهب قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ (الشورى: ٤٩-٥٠).

هذا وينبغي للأهل والجيران والأصدقاء عندما يبلغهم نبأ إكرام الله لعائلة بمولود جديد أن يسرعوا إلى تهنئتها بمولودها والتهنئة هي دعاء للمولود أن يجعله الله مباركاً فقد روي عن الحسن البصري أنه كان يهنئ من ولد له مولوداً بقوله: (بورك في الموهوب، وبلغ أشده، ورزقت بره، وجعلك الله من الشاكرين لما وهبك).

وما أجمل أن يقدم الأهل والأصدقاء والجيران هدية للمولود أو لوالدته بنية إدخال السرور على الأسرة وتحقيقاً لقول النبي ﷺ: «**تهادوا، تحابوا**».

[أخرجه الطبراني عن عائشة]

٢- حقوق الوليد:

إذا صار الجنين وليداً فإن له في عنق والديه حقوقاً أرشد إليها الإسلام فوجب على كل من يأمل ويرجو من الله أن يجعل له أولاداً صالحين أن يعمل على تحقيق ما أرشد إليه الإسلام فهو أول الطريق في تحقيق الأمل بصلاح الأبناء.

وهذه الحقوق هي:

أولاً: استحباب التأذين في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى:

وذلك عند الولادة مباشرة لما روي عن أبي رافع رضي الله عنه مولى رسول الله أنه ﷺ: «**أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ - بِالصَّلَاةِ**».

[أخرجه أبو داود]

وروى الحسن بن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ الصَّلَاةَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ**».

[أخرجه ابن السني في سبل السلام]

أم الصبيان: التَّابِعَةُ مِنْ الْجِنِّ.

(وسر التأذين أن يكون أول ما يقرع سمع المولود الكلمات المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي هي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكأن ذلك كتلقينه شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يلقنها عند خروجه منها).

وقال العلماء: إن للتأذين أثراً كبيراً على قلب المولود بما يحمله من أنوار تنير هذا القلب وكما أن لكلمات الأذان أثراً في هروب الشيطان الذي يرصد هذا المولود فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

ولقد تحدث الإمام الدهلوي رحمه الله في كتابه حجة الله البالغة عن سر التأذين وحكمته فقال: الأذان من شعائر الإسلام وأعلام الدين المحمدي، ثم لابد من تخصيص المولود بذلك الأذان ولا يكون إلا بأن يصوت به في أذنه، وأيضاً لقد علمت أن خاصية الأذان أن يفر منه الشيطان، والشيطان يؤذي الولد في أول نشأته حتى ورد في الحديث أن استهلاله لذلك، فقد روي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَهَا**». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (وإِنِي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ).

[أخرجه البخاري]

وهذه المعاني التي أفاض فيها الدهلوي وغيره من العلماء أكبر دليل على اهتمام الرسول ﷺ بعقيدة التوحيد والإيمان، ومطاردة الشيطان والهوى من حين أن يشم الولد رائحة الدنيا ويتنسم نسائم الوجود.

ثانياً: استحباب تحنيك المولود عندما يولد والدعاء له:

عن أبي موسى الأشعري قال: «**وُلِدَ لِي غُلاَمٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ، فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِي مُوسَى**» [أخرجه البخاري]

وعن أسماء بنت أبي بكر أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْد اللَّه بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ قَالَتْ فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ قُبَاءً فَوَلَدْتُ بِقُبَاءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِه، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَة فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ فَكَانَ أَوَّلَ شَيءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّه ﷺ ثُمَّ حَنَّكَهُ بِالتَّمْرَة، ثُمَّ دَعَا لَهُ فَبَرَّكَ عَلَيْه، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلاَمِ، فَفَرِحُوا بِهِ فَرَحاً شَدِيداً، لأَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ سَحَرَتْكُمْ فَلاَ يُولَدُ لَكُمْ. [أخرجه البخاري]

وقد وردت آثار كثيرة عن النبي ﷺ تتحدث عن تحنيك النبي ﷺ لأبناء الصحابة رضي الله عنهم.

وعن هذه الآثار نشأ اتفاق العلماء على استحباب تحنيك المولود عند ولادته بتمر فإن تعذر فما في معناه وقريب منه من الحلويات.

ويستحب أن يكون المحنك من الصالحين وممن يتبرك به رجلاً كان أو امرأة فإن لم يكن حاضراً عند المولود حمل إليه وبذلك أشار مسلم في صحيحه في كتاب الآداب ضمن باب سماه: استحباب تحنيك المولود وحمله إلى صالح يحنكه.

والتحنيك معناه:مضغ التمرة ودلك حنك المولود بها وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الإصبع وإدخاله في فم المولود ثم تحريكه يميناً وشمالاً بحركة لطيفة، حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة.

(ولقد أجمع الأطباء المسلمون الذين درسوا أسرار التحنيك على أن التحنيك له فائدتان:

الأولى: تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك والفكين بالتملُّظ حتى يتهيأ المولود للقم الثدي وامتصاص اللبن بشكل قوي وحالة طبيعية.

الثانية: تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار وخاصة حديثي الـــولادة والرضع معرضون للموت لو حدث لهم أحد أمرين:

- عند نقص كمية السكر في الدم.

- إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم.

والتحنيك يحصن المولود من الأمرين المذكورين.

وهكذا نجد أن التحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية طبية مكثت البشرية خمسة عشر قرناً من الزمان حتى عرفت الحكمة من ورائها.

وهنا لابد أن نعلم أن للتمر والبلح فوائد دوائية مختلفة أقرها الطب العربي القديم ثم حققها البحث العلمي الحديث وفوائده ليست للرضع فقط، بل وللأم الحامل عند ولادتها أيضاً، قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ (مريم: ٢٥-٢٦).

[الدكتور فاروق مساهل، مجلة الأمة القطرية، العدد ٥٠، في مقالة تحت عنوان اهتمام الإسلام في تغذية الطفل، تعليقاً على حديث التحنيك]

ثالثاً- العقيقة:

أهل الحديث قاطبة، وفقهاؤهم، وجمهور أهل السنة قالوا: هي من سنة رسول الله ﷺ واحتجوا بالحديث التالي: سَلْمَانُ بْنُ عَامِرٍ الضَّبِّيُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَعَ الْغُلَامِ عَقِيقَةٌ، فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَمًا وَأَمِيطُوا عَنْـــهُ الْأَذَى**». [أخرجه البخاري]

عَنْ سَمُرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ وَيُدَمَّى**». [أخرجه أبو داود]

وفي رواية للترمذي: «**الغلام مرتهن بعقيقته**».

وقد تحدث شرَّاح الحديث في هذه الأحاديث فقالوا: المراد بالغلام، المولود ذكراً كان أم أنثى.

والمراد بالعقيقة: ذبح شاة أو أكثر، ففي اللغة: عق إذا قطع، ومنه عق والديه إذا قطعهما.

ورهينة ومرتهن: أي مرهون، والمعنى أنه كالشيء المرهون لا يتم الانتفاع والاستمتاع به دون فكه.

والنعمة إنما تتم على المنْعَم عليه بقيامه بالشكر، ووظيفة الشكر في نعمة المولود ما سنه النبي ﷺ وهو أن يعق عن المولود شكراً لله تعالى، وطلباً لسلامة المولود.

وذهب الإمام أحمد بن حنبل أنه إذا لم يعق عنه، لم يشفع في والديه يوم القيامة.

وقالوا أيضاً: مرتهن، أي: لا ينمو نمو مثله حتى يعق عنه.

ولقد كان النبي ﷺ يعق عن أحفاده فقد روي عن ابن عباس ﷺ:

(أن رسول الله ﷺ عَقَّ عَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ كَبْشًا كَبْشًا).

[أخرجه أبو داود]

ولقد كان من شدة اهتمام السلف الصالح بأمر العقيقة أن الذي لا يجد مالاً لكي يعق عن ولده عق بعصفور، فقد روى مالك بسنده في الموطأ عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أنه قال سمعت أبي يقول: (يستحب العقيقة ولو بعصفور).

وقال العلماء: والعقيقة أفضل من التصدق بثمنها ولو زاد، ولا بأس من أن يستقرض ويعق من ليس عنده ما يعق ليحيي سنة رسول الله ﷺ في ذلك.

وقالوا: والأفضل طبخ العقيقة دون إخراج لحمها نيئاً وتوزيعها مطبوخة فيتمتع بها الأهل والجيران والأصدقاء والفقراء هنيئة مكفية المؤونة.

وقالوا يستحب أن يفصل أعضاؤها ولا تكسر عظامها، وقد ورد ذلك عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت متحدثة عن العقيقة: تطبخ جروراً (أي: لا يكسر لها عظمٌ وإنما تطبخ عضواً عضواً) ولا يكسر عظم ويأكل ويطعم ويتصدق وذلك اليوم السابع من الولادة.

ومن الآثار تبيان لوقت ذبح العقيقة وهو في اليوم السابع من ولادته.

قال صالح بن أحمد بن حنبل: قال أبي في العقيقة، تذبح يوم السابع، فإن لم يفعل ففي أربعة عشر، فإن لم يفعل ففي أحدَ وعشرينَ. (أي في يوم من أضعاف السبعة).

قال أبو عمر: (كان الحسن البصري يذهب إلى أنها واجبة عن الغلام يوم سابعه، فإن لم يُعَق عنه، عق عن نفسه).

أبو عمر: من أصحاب الحسن البصري.

وقال الليث بن سعد: يعق عن المولود في أيام سابعه، فإن لم يتهيأ له في سابعه فلا بأس أن يعق عنه بعد ذلك.

قال أبو بكر الخلال -وهو من كبار فقهاء الحنابلة-: باب ما يستحب لمن لم يُعَقَ عنه صغيراً أن يعُقَ عن نفسه كبيراً.

هذا ولقد بين النبي ﷺ نية العقيقة فقد روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**اذْبَحُوا عَلَى اسْمِهِ وَقُولُوا بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُمَّ لَكَ وَإِلَيْكَ هَذِهِ عَقِيقَةُ فُلاَنٍ**». [أخرجه البيهقي]

رابعاً- حلق رأس المولود والتصدق بوزن شعره:

من الأحاديث السابقة التي مرت معنا في موضوع التحنيك ما تحدث عن حلق رأس المولود والتصدق بوزن شعره.

عَنْ مَالك عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيه أَنَّهُ قَالَ: (وَزَنَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَعَرَ حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ وَزَيْنَبَ وَأُمِّ كُلْثُومٍ فَتَصَدَّقَتْ بِزِنَةِ ذَلِكَ فِضَّةً). [موطأ مالك]

وعَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِب قَالَ: عَقَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَنِ الْحَسَنِ بِشَاة وَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ احْلِقِي رَأْسَهُ وَتَصَدَّقِي بِزِنَةِ شَعْرِهِ فِضَّةً**». قَالَ فَوَزَنَتْهُ فَكَانَ وَزْنُهُ دِرْهَمًا أَوْ بَعْضَ دِرْهَمٍ. [أخرجه الترمذي]

قال الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة مشيراً إلى هذا الموضوع:

(والسبب في التصدق بالفضة أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية كان ذلك نعمة وجب شكرها، وأحسن ما يقع به الشكر ما يؤذن-يشعر- أنه عوضه، فلما كان شعر الجنين بقية النشأة الجنينية وإزالته أمارة للاستقلال بالنشأة الطفلية وجب أن يؤمر بوزن الشعر فضة، أما تخصيص الفضة فلأن الذهب أغلى ولا يجده إلا غني).

ويتعلق بالحلق مسألة القزع، وهي حلق بعض رأس الصبي وترك بعضه، فقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «**نَهَى رَسُولُ اللَّه ﷺ عَنِ الْقَزَعِ وَالْقَزَعُ أَنْ يُحْلَقَ رَأْسُ الصَّبِيِّ فَيُتْرَكَ بَعْضُ شَعْرِهِ**». [أخرجه النسائي]

قال ابن القيم: (وهذا من كمال محبة الله ورسوله للعدل، فإنه أمر به حتى في شأن الإنسان مع نفسه، فنهاه أن يحلق بعض رأسه ويترك بعضه، لأنه ظلم للرأس حيث يترك بعضه كاسياً وبعضه عارياً).

خامساً: ختان المولود:

من سنن الفطرة أن يختن الطفل وكلما كان صغيراً كلما كان أفضل صحياً ونفسياً واجتماعياً وفي ذلك اتباع للسنة، وحفظ لصحة الطفل من كثير من أمراض المسالك البولية.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْفِطْرَةُ خَمْسٌ الْخِتَانُ، وَالاِسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ**».

[أخرجه البخاري]

قال ابن القيم في هذا الحديث: فجعل الختان رأس خصال الفطرة، وإنما كانت هذه الخصال من الفطرة، لأن الفطرة هي الحنيفية ملة إبراهيم، وهذه الخصال أُمر بها إبراهيم، وهي من الكلمات التي ابتلاه ربه بهن.

سادساً: ثقب أذن البنت:

(يجوز ثقبها للزينة نص عليه الإمام أحمد، والدليل على ذلك ما جاء في الصحيحين لما حرض النبي ﷺ النساء على الصدقة وَقَالَ فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي خُرْصَهَا وَسِخَابَهَا.

والخرص: هو الحلقة الموضوعة في الأذن، **والسخاب**: خيط من خرز يوضع في العنق كالقلادة.

وجوازه إنما بفعل الناس له وإقرار الشرع بذلك فلو كان مما ينهى عنه لنهى القرآن أو السنة عنه.

وما جاء في قول النبي ﷺ لعائشة في حديث أم زرع: «**كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ**». [أخرجه البخاري]

وفيه قول أم زرع: (**أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ**) أي: ملأها من الحلي حتى صار ينوس فيها أي: يتحرك ويجول.

سابعاً: تسمية المولود:

١- اعتاد الناس في كل زمان ومكان على تسمية مولودهم باسم يعرف به، ويتميز لدى القريب والبعيد، والإسلام الذي هو دين الفطرة وبتشريعه المتكامل اعتنى بهذه الظاهرة ووضع لها أحكاماً تشعر بأهميتها وضرورة الاعتناء بها وأهم الأحكام التي وضعها الإسلام في تسمية المولود:

الوقت الذي يسمى به المولود: من الأحاديث المروية عن النبي ﷺ نجد أن بعضها يشير أنه من السنة أن تكون التسمية في يوم الولادة، فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ**». [أخرجه مسلم]

ومن الأحاديث ما يشير إلى أن التسمية في اليوم السابع، فقد روي عن سمرة رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ:«**كُلُّ غُلامٍ رَهِينٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ وَيُسَمَّي**». [أخرجه النسائي]

فيؤخذ من هذين الحديثين أن في الأمر سعة فجاز تسميته في اليوم الأول من ولادته، وجاز التأخير عن يوم العقيقة، وهو اليوم السابع.

٢- ما يستحب من الأسماء وما يكره منها: يجب على الوالدين أن ينتقيا لمولودهما الاسم المناسب للشرع، الحسن الجميل عملاً بما أرشد إليه النبي ﷺ.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ**». [أخرجه أبو داود]

ولقد نبه النبي ﷺ لأحب الأسماء إلى الله فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**». [أخرجه مسلم]

ولقد أشار النبي ﷺ إلى ما يستحب من الأسماء وما يستكره منها وكان ﷺ كثيراً ما غير من أسماء أصحابه لما تحمل أسمائهم من كراهة.

ومن الأسماء المحمودة: أسماء الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، وأسماء ذكرت في القرآن الكريم.

٣- يجوز تكنية المولود بأبي فلان: فقد ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمٌ - وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ:

«**يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**». [أخرجه البخاري]

ولقد ذكرت في كتابي: (منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ) عشرات الأسماء للذكور والإناث يمكن الرجوع إليها لانتقاء ما يرغب فيه المرء.

٣- التربية في مرحلة الحضانة والرضاعة:

الحضانة: تربية الطفل وحفظه والإشراف على صحته وتنظيفه، وهي مشتقة من الحضن وهو ما تحت الإبط وما يليه، وسميت التربية حضانة تجوزاً، من حضانة الطير لبيضه وفراخه لأنه يجعلها تحت جناحيه فسميت تربية الصبي بذلك أخذاً من فعل الطائر. [الكاساني، بدائع الصنائع]

وكفالة الطفل وحضانته واجبة لأنه يهلك بتركها، فيجب حفظه من الهلاك كما يجب الإنفاق عليه وإنجاؤه من المهالك. [المقدسي، المغني]

الرضاعة: إرضاع الطفل الحليب من ثدي أمه، وعلى مدى عامين كاملين إن أمكن ذلك. وقد أثبتت التجارب والبحوث الجسدية والنفسية اليوم أن إرضاع الطفل على مدى عامين كاملين ضروري لينمو نمواً سليماً من الناحيتين الجسدية والنفسية، وهو ما سبق الإسلام إلى تقريره في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

مما سبق نجد أن الله ﷻ قد قرّر للمولود الجديد حقوقاً وأمر والديه بأدائها ورسم الشرع لهما الطريقة السليمة لتحقيق هذه الحقوق على أكمل وجه، ومن أهم هذه الحقوق أيضاً:

أولاً: أن يعلماه أول ما يعلمانه من الكلام اسم الله فيرددان اسم الله (الله) أمام الطفل من خلال مواقف محببة وسارّة.

ثانياً: تلقين الطفل قول لا إله إلا الله، وذلك بالتكرار والتنغيم مع المداعبة عند التلقين، فقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «**افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله**». [أخرجه البيهقي في شعبه عن ابن عباس رضي الله عنهما]

(أم سليم الرميصاء – أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ– أسلمت وكان أنس صغيراً لم يفطم بعد، فجعلت تلقن أنساً وتقول له: قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمداً رسول الله، ففعل، فيقول لها أبوه وكان إذ ذاك مشركاً: لا تفسدي عليّ ابني، فتقول: إني لا أفسده.

ثالثاً: يجب على الوالدين حماية فطرة مولودهما من الانحراف وصيانة عقيدته من الشرك، وذلك بالبعد عن العادات الجاهلية المغايرة لعقيدة

التوحيد، كتعليق التمائم المختلفة في عنق أو كتف المولود، فقد نهى رسول الله ﷺ عن تعليق التمائم تعويداً للصغير الاعتماد على الله وحده.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلاَ أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فَلاَ وَدَعَ اللَّهُ لَهُ**». [أخرجه الحاكم في مستدركه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه]

والتميمة: ما يعلق على الصبي من خرزة أو غيرها.

بل على الوالدين أن يرقيا مولودهما عند مرضه أو بكائه أو الخوف عليه من الجن أو الإنس برقية النبي ﷺ، وذلك بعد قراءة المعوذتين.

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعوّذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى عليه ويقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**». [أخرجه البخاري]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين فيقول: «**أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ**». ثُمَّ يَقُولُ: «**كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**».

[أخرجه أبو داود في سننه]

رابعاً: تعويد سمع المولود في هذه السن سماع آيات القرآن الكريم تلاوة، وسماع كل نشيد ومديح بالنغم الهادئ الطيب المريح من قبل الوالدين، أو من الوسائل الحديثة مما يؤثر في أعماق الطفل فيتعوَّد على ذلك ويرتبط به ويحبه، فتهدأ نفسه ويرتاح عند سماع ذلك.

❁ ❁ ❁

ثالثاً :تربية الطفل مابين السنتين إلى السابعة

اختيار هذه الفترة السنتين:لقوله تعالى: (وفصاله في عامين)، والسابعة لقول النبي ﷺ: «مُرُوْا أولادكم بالصلاة لسبع».

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦).

- مما ورد في تفسير الألوسي لهذه الآية: روي أن عمر قال حين نزلت، يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلنا؟ قال ﷺ: «**تنهونهنّ عما نهاكم الله عنه، وتأمرونهنّ بما أمركم الله، فيكون ذلك وقاية بينهنّ وبين النار**».

وقال ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِه وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِه وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ -وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه**».

[أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه]

وقال ﷺ: «**إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**». [أخرجه النسائي عن أنس رضي الله عنه]

وقال ﷺ: «**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**».

[أخرجه الترمذي عن أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

وقال ﷺ: «**لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ**».

[أخرجه الترمذي عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ]

وقال ﷺ: «**أَكْرِمُوا أَوْلاَدَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ**».

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

- قال المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عودَه أبوه

وما دان الفتى بحجاً ولكن ... يعلمهُ التّدَيّنَ أقربوه

- مما سبق ومن الواقع العملي الذي نعيشه اليوم ندرك أهمية عناية الوالدين بتربية أبنائهم منذ الصغر، وخاصة في هذا الزمان العصيب.

فما واجبات الوالدين في تربية أبنائهم في هذه السن (مابين سنتين إلى السابعة)؟:

أولاً- تكرار تلقين الطفل كلمة التوحيد:

منذ اللحظات الأولى لبدء الطفل بالكلام لقول النبي ﷺ: «**افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله**».

[أخرجه البيهقي في شعبه عن ابن عباس رضي الله عنهما]

فما أجمل أن نردد أمام طفلنا كلمة الله الله وأن يرددها الطفل وراءنا وإن لم يفهم معناها فإن نورها يسري في قلبه ويطرد عنه شيطانه.

ثانياً- تعريفهم بالله عز وجل وذلك عن طريق:

ترسيخ حب الله تعالى على طريقة محبة العامة وهي محبة الله لأجل إحسانه إلى عباده، وهذه المحبة على هذا الأصل لا ينكرها أحد فإن القلوب

مجبولة على حب من أحسن إليها وخاصة الأطفال قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل: ٥٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (النحل: ١٨).

وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة: ٢٩).

وقال ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (لقمان: ٢٠).

وقال رسول الله ﷺ: «**أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِه**».

[أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما]

- فيجب على الوالدين العرض المستمر للنعم التي أنعمها الله على عباده وخاصة المحسوسة على الأطفال فهي مهمة لهم:

نقول لهم من الذي خلقنا وأوجدنا؟ نعلم الطفل أن يجيب: **الله**.

من الذي أعطانا العينين اللتين نرى بهما كل شيء (ونشير بإصبعنا إلى العينين)؟

نعلم الطفل أن يجيب: **الله**.

من الذي أعطانا السمع الذي نسمع به كل شيء (ونشير بإصبعنا إلى أذننا)؟

نعلم الطفل أن يجيب: **الله**.

من الذي أعطانا اللسان الذي نتكلم به (ونشير بإصبعنا إلى لساننا)؟

نعلم الطفل أن يجيب: **الله**.

وهكذا ثم نقول ما أجمل الله وما أعظمه نحن نحبه كثيراً لأنه يحبنا ويعطينا كثيراً من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

- وكذلك عندما يقدم الوالدان الطعام لأطفالهما يعرفانهم بالله الخالق لكل شيء.

فمثلاً عندما يقدم الوالد أو الوالدة التفاحة لهذا الطفل يقال له:

الله الذي خلق لنا هذا الطعام الشهي، خلق لنا هذا التفاح اللذيذ في طعمه، الجميل في منظره، المنعش في رائحته، مختلفاً ألوانه وشكله وطعمه.

نعلم الطفل أن يردد معنا: سبحان الخالق العظيم.

نحبك يا الله لأنك خلقت لنا كل هذا.

وبمثل هذا يتحدث الوالدان عند كل مأكلٍ ومشرب.

أ- تعليمهم ذكر الله عند البدء بأي عمل يقومون به كأن يقولوا:

بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يختمه بالحمد لله، ويجب على الوالدين أن يغرسا في أولادهم الالتجاء إلى الله بالدعاء عند كل نعمة كأن يقولوا عند بدء الطعام ما ورد عن النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**».

[أخرجه مالك في الموطأ]

وعند الفراغ من الطعام يقولون ما ورد عن النبي ﷺ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ**».

[أخرجه أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه]

ب- فما أجمل أن يشجع الوالدان طفلهم أن يبتدئ بالدعاء وأن يردد الجميع وراءه ذلك الدعاء عند جلوس جميع أفراد الأسرة على مائدة الطعام.

وأن يقولوا حين يصبحون ما ورد عن النبي ﷺ: «**أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله**» وحين يمسون: «**أمسينا وأمسى الملك لله الحمد لله**».

[أخرجه مسلم]

وأن يقولوا: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق** ».

[أخرجه البخاري]

ت- وعلى الوالدين أن يعلما أولادهما أن الحمد هو شكر لله ﷻ على ما أنعم به وتفضّل، وأن بالحمد والشكر تزيد النعم ويرضى الله عنا ويثيبنا بالحسنات.

ث- تعريفهم ببعض صفات الله وقدرته ومنها: أن الله خالق كل شيء فالله خلق الجد والجدة والعم والعمة والخال والخالة والأب والأم والإخوة وخلق السموات والأرض.

ج- ويجب على الوالدين الاستفادة من مرحلة الطفولة الجميلة، وطاقاتها العظيمة في الحفظ وحب الإنشاد والغناء وفي التعبير والمدح والتمثيل المعبر، الاستفادة من كل ذلك في تثبيت العقيدة وترسيخها في أعماقهم بنغم جميل وكلمات سهلة حلوة يحفظها الطفل فيستفيد من معانيها، ويتعلم من كلامها ويغني ويمثل معبراً عن معانيها الطفولية الجميلة مثال:

(أنشودة الله الخالق)

من أنزل الأمطار وفجر الأنهار

وأنبت الأزهار تزخرف الجبال؟

ذاك العظيم في علاه من أبدع الكون سواه

مـــن زيـــن الـــسماء وجمـــــل الفـــــضاء
وأرســـــل الـــــضياء ليرســـــم الظـــــلال؟
ذاك العظيم في علاه من أبدع الكون سواه
مـــن علّـــم العـــصفور في الجـــو أن يطـــير
ومـــن جـــلا الغـــديرا ودفـــق الـــشلال؟
ذاك العظيم في علاه من أبدع الكون سواه
مـــن أنطـــق اللـــسان وأسمـــع الآذانـــا
وعلـــم الإنـــسانا وأبـــدع الجمـــال؟
ذاك العظيم في علاه من أبدع الكون سواه
مـــن ينـــشر الـــصباحا ويرســـل الرياحـــا
ويمـــلأ البطاحـــا مـــن رزقـــه الحـــلال؟
ذاك العظيم في علاه من أبدع الكون سواه

يوسف العظم

ح- كذلك يجب على الوالدين أن يعلما أولادهما أن الله مالـك كـل شيء وقادر على كل شيء وهو واحد لا شريك له، وأن الله معنا وقريب منا يسمعنا ويبصرنا لا تخفى عليه خافية من أعمالنا، وهو يحفظنا من كل مكروه إن حفظنا أوامره ويعطينا ما نحتاج إليه إن دعوناه، وعلى الوالدين أن يـرددا دائماً مع أطفالهما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤).

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ (آل عمران: ٥)

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيعصيه إياك والمعصية. [الغزالي في إحيائه]

ثالثاً– ترسيخ محبتهم لرسول الله ﷺ:

وذلك بتعريف الأطفال بسيدنا محمد ﷺ وكيف اختاره الله واصطفاه ليكون نبي هذه الأمة المحمدية.

وتتكون هذه المحبة وتتعمق في قلوب الأطفال من خلال ما يقدمه الوالدان من حديثٍ وقصصٍ عن رسول الله ﷺ.

وعلى الوالدين أن يستغلا المناسبات وأوقات الفراغ للحديث عن رسول الله ﷺ: (مولده، طفولته، شبابه، عمله، تعبده، بعثته، أخلاقه، دعوته.... الخ) كل ذلك بأسلوب قصصي شائق مناسب لعقل الطفل ومستواه.

ويجب على الوالدين أن يعلما أطفالهما بعض المعلومات الهامة حول النبي ﷺ، ويكررا ذلك ويطلبا من أولادهما أن يذكروها مشافهة، وبشكل خطابي وأمام الحاضرين بمناسبات متعددة، مثل:

من نبينا؟ سيدنا محمد ﷺ.

من أبوه؟ عبد الله بن عبد المطلب.

من أمه؟ آمنة بنت وهب.

من جده؟ عبد المطلب.

من عمه الذي كفله؟ أبو طالب.

ما اسم قبيلته؟ قريش.

أين ولد؟ في مكة.

من أُوْلى زوجاته؟ خديجة رضي الله عنها.

ما أسماء أولاده الذكور؟ القاسم وعبد الله وإبراهيم.

ما أسماء بناته؟ زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهنّ.

من أهم أصحابه؟ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنه.

ثم ننشد معهم جميعاً:

صلوا عليه وسلموا تسليماً حتى تنالوا جنة ونعيما

الله يجزي من يصلي مرة عشراً ويسكن في الجنان مقيما

والوالدان الحريصان على تربية عقيدة أطفالهما السليمة يجلسون كل يوم ولو لدقائق معدودات ليحدّثاهم عن سيرة النبي ﷺ، وما أجمل أن يكون ذلك مساءً عند الاستعداد للنوم ليتمتعوا بهذه السيرة، ولينامو على أجمل القصص لتظل في خواطرهم لا ينسونها أبداً كما تفعل الجدة مع أحفادها، ولا ينسَ الوالدان دائماً أن يكررا أمام أطفالهما لفظ الشهادتين:

(أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)

رابعاً- ربطهم بالقرآن الكريم وتحفيظهم بعض سوره:

يجب على الوالدين في هذه السن أن يعرفا أطفالهما على القرآن الكريم وأنه كلام الله نزل به الملك جبريل على سيدنا محمد ﷺ وأن يظهرا التقدير والاحترام لهذا القرآن وأن يرى الأطفال والديهم وهما يقرآن القرآن حتى يؤثر ذلك في تصرفاتهم واحترامهم للقرآن.

ويجب على الوالدين أن يسعيا إلى تحفيظ أولادهما في هذه السن جزء عمّ كاملاً مبتدئين بالسور الصغيرة إلى نهاية الجزء، وذلك عن طريق التلاوة من قبل الوالدين والتكرار من قبل الأطفال، وقد أشار النبي ﷺ إلى أهمية الحفظ في الصغر وثبات ذلك الحفظ على مر الأيام: «**مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء**». [أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه]

قال أبو عبد الله نفطويه:

أراني أنسى ما تعلمت في الكبر ولست بناسٍ ما تعلمت في الصغر

وما العلم إلا بالتعلم في الصبا وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر

ولقد فطن السلف الصالح لذلك فسعوا بأولادهم إلى تعلم القرآن وهم في سن مبكرة.

قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: (رأيت صبياً ابن أربع سنين قد حمل إلى المأمون، قد قرأ القرآن، غير أنه إذا جاع يبكي).

[الخطيب البغدادي الكافية في علم الرواية]

وقال أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأصفهاني: (حفظت القرآن ولي خمس سنين). [المرجع السابق]

قال سهل بن عبد الله التستري وهو يتابع قصته التي مرت معنا سابقاً: (فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن سبع سنين).

وفي تاريخنا المشرق الذي يتحدث عن كبار علمائنا من السلف نرى أن أكثرهم قد حفظوا القرآن وهم في هذه السن المبكرة.

واليوم نرى على شاشات التلفاز أطفالاً في هذه السن قد حفظوا القرآن متمكنين من حفظه ويتلونه التلاوة الرائعة.

فإذا كانت إمكانية الطفولة والفطرة بهذا الشكل، فلمَ لا يستفيد الوالدان من ذلك في شغل أوقات أطفالهم بالمفيد، وتربيتهم التربية المثالية التي تحفظهم في كبرهم من كل المساوئ والامتحانات المختلفة، إلى جانب المكانة العالية والثواب العظيم الذي يناله الوالدان في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن، وعمل بما فيه ألبس والده يوم القيامة تاجاً ضوؤُه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا وكانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به**».

[أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أنس الجهني عن أبيه]

أي: هذا ثواب والديّ من قرأ القرآن وعمل بما فيه، فكيف ثواب القارئ العامل بما فيه فهو لا شك أكبر وأعظم.

هذا إلى جانب ما في قراءة الأطفال للقرآن الكريم من أثرٍ في رفع البلاء والعذاب عن الأسرة والمجتمع فقد ورد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**أن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في المكتب {الحمد للّه رَبّ العالمين} فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة**». [تفسير الرازي والبيضاوي]

ولا بأس أن نشجع الأطفال وهم يتعتعون في قراءتهم على الاستمرار في القراءة حتى يتقنوها متذكرين قول النبي ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق، فله أجران**».

[أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها]

خامساً- تعويدهم طلب الحلال والابتعاد عن الحرام:

حتى يفتح الولد عينيه منذ نشأته الأولى على أوامر الله فيروض على امتثالها وعلى نواهي الله فيدرب على الابتعاد عنها فإن ذلك سيدوم معه إلى آخر حياته، ولقد كان النبي ﷺ شديد الحرص في هذا الموضوع، وأسلوبه في ذلك توضيح السبب في المنع والتحريم ليدع الطفل الحرام مع الاقتناع والإدراك والفهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كِخْ كِخْ ارْمِ بِهَا أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**». [أخرجه مسلم]

الطفل في هذه السن من غرائزه حب التملك لكل شيء يراه حوله، وعلى الوالدين أن يبينا ماله وما عليه، وأن ينهياه عن تملك مال غيره ويميزا له الحلال والحرام في ذلك، مثال: خذ هذا القلم فهو لك حلال، لا تأخذ قلم غيرك فهذا حرام إلا إن أهداك إياه أو سمح لك باستعماله إلى غير ذلك من هذه الأمور.

ويجب عدم إظهار العنف عندما نرى أن هذا الطفل أحضر حاجات غيره، بل يجب أن نشرح له الأمر، ونرغبه بإعادته لصاحبه مع الاعتذار وتقديم هدية له، ويجب أن لا نسمي ذلك سرقة بل عدم معرفة حق الملكية فعلينا أن نشرح له ذلك.

سادساً- تعويدهم بعض الآداب الإسلامية:

يجب على الوالدين أن لا يغفلا عن أي عمل يقوم بـــه أطفالهمـــا وأن يرشداهم مع التشجيع والتعزيز إلى العادات الإسلامية في المأكل والمـــشرب والملبس وغير ذلك من الأمور، فقد كان النبي ﷺ حريصاً على ذلك: عـــن عُمَرَ بن أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّـــهَ، وَكُـــلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. [أخرجه البخاري]

حَجْر: ويقال: حِجْر: حضنه أو في كنفه وحمايته.

تطيش: تتحرك وتمتد إلى نواحي الصحفة ولا تقتصر على موضع واحد.

والملاحظ تأثير التوجيه في الصغر وثباته إلى الكبر في قولـــه ﷺ: (فَمَـــا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ).

ويجب على الوالدين أن يرشدا أطفالهما إلى آداب ستر العورة والاحتـــشام والحياء وآداب مخاطبة الآخرين وأن يشجعاهم على أداء السلام واحترام الآخرين.

سابعاً- تعويدهم بعض الأخلاق الإسلامية:

كالصدق والابتعاد عن الكذب وهذا من أهم ما يجب على الوالـــدين فعله أمام أطفالهما حتى لا يتعلموا الكذب فعَن أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ**».

[أخرجه أحمد في مسنده]

هاك: أي أقبل خذ.

وعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّه ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**وَمَا أَرَدْتِ أَنْ**

تُعْطيه». قَالَتْ أُعْطيه تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِه شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَة**». [أخرجه أبو داود في سننه]

قد يكذب الطفل أحياناً وهو لا يقصد الكذب ولا يعرف الكذب وذلك بدافع من قوة خياله الذي يجسم له أشياء لم تحدث، فيراها كأنها حدثت بالفعل، وبقصها على أنها واقع.

هنا يجب على الوالدين أن يحسنا نقله من الخيال إلى الواقع، وعدم مجابهته بالواقع مباشرة أو اتهامه بالكذب.

وعندما يتعلم الطفل الكذب من والديه أو إخوته أو ممن حوله فإنه يكذب بالفعل ليصل إلى أشياء يريدها كالحلوى وغيرها فواجب الوالدين هنا ألا يوصلا أولادهما إلى الكذب بحرمانهم حاجاتهم وذلك بتقديم الحاجات دون تبذير ولا تقطير مع التوجيه بأن الكذب أمر غير محبوب ولا مرغوب فيه وهو مذمومٌ يبعد عن محبة الآخرين له.

وكذلك نعود الطفل محبة الآخرين واحترامهم والتعاون مع إخوته والأطفال الآخرين واللعب معهم، والإيثار على اللعب وعدم إيذائهم، والسعي إلى التفاعل معهم مع إظهار ألفاظ الشكر وحسن الكلام في الأخذ والعطاء واللعب والكلام وفي كل تصرفاتهم.

رابعاً: التربية في الفترة ما بين السابعة إلى الثانية عشرة

- اختيار المربين لسنوات هذه الفترة بهذا التحديد ابتداء من السنة السابعة مستمدة من حديث النبي ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع**».

وانتهاء هذه الفترة بالثانية عشرة لأن هذه السن هي سن انتهاء الطفولة وابتداء سن الحلم والتكليف، وما يسمى بالمراهقة تقريباً.

- وهذه الفترة تسمى فترة الإدراك والتمييز لأن الطفل أصبح يدرك الأشياء ويميز بينها، وهي فترة أساسية في تربية الطفل يجب العناية بها كثيراً، ففي هذه الفترة تبدأ القيم بالرسوخ في أعماق الطفل وتثبت، وهي التي تحدد مستقبل الطفل واتجاهاته، فهذه المرحلة تحتاج إلى حزم أكبر من المرحلة السابقة وبشكل أشد لتثبيت التربية في أعماقه فهي مرحلة التثبيت والاستقرار لكل ما يطرح عليه، وسبب الحاجة على الحزم في هذه السن أنَّ الطفل فيها يكون على أبواب الحلم والتكليف وعليه لا ينبغي التساهل معه في أمور سيجري بها القلم له أو عليه بعد حين قصير من الزمن.

- فكل مهتم بتربية أولاده في هذا السن سيضمن بعون الله صلاح أبنائه، وكل مهمل لتربية أبنائه في هذا السن سيلقى معاناة منهم لا تحمد عقباها وخاصة في هذا الزمان الذي كثر فيه أصدقاء السوء وشاعت العادات السيئة المستوحاة من المحطات الفضائية والإنترنت وغيرها من وسائل الاتصال، إلى جانب انتشار خطر الاختلاط والمخدرات بين الشباب وما ينتج عن ذلك من عادات سيئة تؤدي إلى السرقة أو الاعتداء على الآخرين أو قتلهم وانتهاء بالسجن.

ورحم الله القائل:

خير ما ورث الرجال بنيهم أدبٌ صالحٌ وحُسْنُ ثناءِ

وخيرٌ من الدنانير والأو راق في يوم شِدَّةٍ أو رخاء

تلك تفنى والدين والأدب الصا لح لا يفنيان حتى اللقاء

- ويبين الإمام الغزالي نتائج إهمال تربية الأبناء في هذه الفترة فيقول:

(الصبي إذا أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذّاباً حسوداً سروقاً نماماً، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب).

- وقال علي بن المديني: (توريث الأولاد الأدب خير لهم من توريث المال، الأدب يكسبهم المال والجاه والمحبة للإخوان ويجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة). [تنبيه المغترين ص ٤١]

- هذا وإن من عوائد تربية الأبناء على الصلاح في هذه الفترة الثواب الكبير الذي يناله الوالدان من وراء ذلك، فإن من رحمة الله وفضله أن يشارك الوالدان الأولاد ثواب طاعتهم فتسجل في صحائف والديه، كما تسجل في صحائف الأبناء.

- عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**الْمَوْلُودُ حَتَّى يَبْلُغَ الْحنْثَ مَا عَمِلَ مِنْ حَسَنَةٍ كُتِبَ لِوَالِدِهِ أَوْ لِوَالِدَيْهِ، وَمَا عَمِلَ مِنْ سَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ وَلا عَلَى وَالِدَيْهِ**». [أخرجه أبو يعلى في مسنده]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ: «**مَنِ الْقَوْمُ**»، قَالُوا الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا مَنْ أَنْتَ قَالَ: «**رَسُولُ اللَّهِ**»، فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ: «**نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ**». [أخرجه مسلم]

فإذا ما اهتم الوالدان بتقديم المساعدة لأولادهما، وتعويدهم على أداء الفرائض منذ الصغر كان لهما أجر على ما يقوم به الأولاد من العبادات كما أن للأولاد أجراً على أدائها قبل وجوبها عليهم، وذلك لأن الوالدين هما صاحبا الفضل في تعويد الأولاد الطاعات والمحافظة عليها، وعدم التفريط في أدائها.

- هذا وإن من رحمة الله تعالى بالإنسان أن جعل ثواب أعمال الصغير تحسب له، ويثاب عليها إذا أداها، مع أنه غير مطالب بأدائها ولا يؤاخذ على تركها.

فما واجب الوالدين تجاه أولادهما في هذه الفترة:

أولاً: تهيئة الطفل لأجواء العبادة:

- يجب على الوالدين في هذه الفترة تهيئة الطفل لأجواء العبادة وغرس المفاهيم الصحيحة ببساطةٍ ويسرٍ، لأن تكوين العادة في الصغر أيسر بكثير من تكوينها في الكبر.

والأفضل أن نبدأ بتهيئة الطفل لأجواء العبادة قبل هذه السن، فيمكن منذ السنة الرابعة من عمر الطفل أن يعود على آداب قضاء الحاجة، وعلى كيفية الوضوء، حيث إن الطفل منذ هذه الفترة يراقب والديه في كل تصرف من تصرفاتهما، ويحاول تقليدهما، ويحسن أن تشتري الأم لابنتها في هذه السن غطاءً جميلاً لترتديه أثناء الصلاة.

- وعلى الوالدين أن يستجيبا لأمر الله في قوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه: ١٣٢).

وذلك بأفضل السبل وأرقها لتحبيب الصغار بالصلاة مع التعزيز الإيجابي في ذلك.

- ومن طريف ما يروى عن حرص السلف ﷺ على تعويد الأولاد طاعة الله تعالى منذ الصغر ما رواه يونس بن محمد المؤدب قال: كان زبيد بن الحارث مؤذن مسجد فكان يقول للصبيان: تعالوا فصلوا، أهب لكم جوزاً، فكانوا يصلون ثم يحيطون به، فقلت له في ذلك، فقال: وما عليَّ أن اشتري لهم جوزاً بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة.

- وقد أشار النبي ﷺ إلى الوقت الذي يؤمر الطفل فيه بالصلاة بقوله ﷺ: «**إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلاة**».

[أخرجه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن خبيب عن أبيه]

- وفي ذلك يوجه عبد الله بن مسعود الوالدين فيقول: «**حَافِظُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ فِي الصَّلاَةِ وَعَلِّمُوهُمُ الْخَيْرَ فَإِنَّمَا الْخَيْرُ عَادَةٌ**».

[أخرجه البيهقي في شعبه]

- وأول واجبٍ على الوالدين في موضوع العبادات في هذه السن الاهتمام بموضوع الصلاة وبالكيفية التي أمر بها النبي ﷺ في أحاديث متعددة: قال رسول الله ﷺ: «**مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**».

[أخرجه أبو داود في سننه عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلاَةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرٍ**».

[أخرجه الترمذي عن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا بَلَغَ الْغُلاَمُ سَبْعَ سِنِينَ أُمِرَ بِالصَّلاَةِ فَإِذَا بَلَغَ عَشْراً ضُرِبَ عَلَيْهَا**».

[أخرجه أحمد عن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

- ومن أهم وسائل ترغيب الأطفال في الصلاة في هذه السن أن نفهمهم:

أولاً: أننا نصلي لنشكر الله ﷻ على ما أعطانا ويعطينا من نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى (حبذا أن يذكر الوالدان عدداً من هذه النعم).

ثانياً: أننا نصلي لكي يحبنا الله وأن المصلين لهم الجنة.

- ويجب أن يعمل الوالدان بكل ما بوسعهما أن يكون اندفاع الأطفال للصلاة عملاً ذاتياً نابعاً من أنفسهم، لتبقى هذه القيم راسخة عن قناعة وتدريب.

- كذلك على الوالد اصطحاب طفله في هذه السن إلى مجالس العلماء، وإلى صلاة الجماعة والجمعة، وأن يعوده صلاة النوافل ويرغبه بها، فإذا ما وجد طفل في بيئة تحافظ على النوافل وكان الطفل يرى ذلك فإن من أعماق نفسه يرغب في تقليد أهله، وقد عبر عن هذه الرغبة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكان في هذه السن فقال: بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، ثُمَّ قَالَ: «**نَامَ الْغُلَيِّمُ**». أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا، ثُمَّ قَامَ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَصَلَّى خَمْسَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ - أَوْ خَطِيطَهُ - ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ. [أخرجه البخاري]

الخطيط والغطيط بمعنى واحد: الصوت الذي يخرج من نفس النائم.

- كذلك يجب على الوالد أن يصطحب أبناءه ولو كانوا صغاراً في هذه السن لصلاة العيد، فقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك فعَنْ عَبْد اللَّه: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كَانَ يَخْرُجُ فِي الْعِيدَيْنِ مَعَ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْد اللَّه، وَالْعَبَّاسِ، وَعَلِيٍّ، وَجَعْفَرٍ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْد، وَزَيد بْنِ حَارِثَةَ، وَأَيْمَنَ ابْنِ أُمِّ أَيْمَنَ ﷺ رَافِعًا صَوْتَهُ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ فَيَأْخُذُ طَرِيقَ الْحدَّادِينَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمُصَلَّى، وَإِذَا فَرَغَ رَجَعَ عَلَى الْحَذَّائِينَ حَتَّى يَأْتِيَ مَنْزِلَهُ.

[أخرجه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي في سننه]

وكلنا يعلم أن أكثر هؤلاء كانوا أطفالاً في السن التي نتحدث عنها.

- وكذلك في شأن الصيام يلجأ الوالدان إلى التدرج في تعويد أطفالهما الصيام مع إعلام الطفل أن هذا ليس هو الصيام المكلف به، وإنما هو لأجل التدريب، ولا بأس في أن يعود الطفل في البداية صوم بعض اليوم حتى أذان الظهر، ثم العصر، فإذا أطاق ذلك صام يوماً كاملاً، أو أكثر حتى يعتاد الصيام إلى أن يبلغ القدرة على صيام الشهر كله، فإذا كان الصيام في فصل الشتاء فالأفضل أن يصوم الأطفال مع الأهل لسهولة الصيام شتاء، فإذا صام الطفل تعوّد بصيامه الإخلاص الحقيقي لله والمراقبة له في السر، وقويت إرادة الطفل على كبح جماح رغباته، وتدرب على الصبر والجلد، وقد ربى الصحابة أطفالهم على عبادة الصيام، فعنون الإمام البخاري في صحيحه باب: صوم الصبيان، وأورد حديث عمر حيث قال عمر لنشوان وقد أفطر في رمضان: ويلك وصبياننا صيام! فضربه.

- كذلك نعود الأطفال البذل والعطاء والرحمة بالفقراء وذلك لتتهيّأ نفوسهم لدفع الزكاة والعطف على المساكين، فما أجمل ذاك الوالد الذي

يعطي ابنه بعض النقود ليضعها في كف فقير، أو في صندوق التبرعات مبيناً له سبب ذلك، والثواب الكبير الذي يناله المسلم المنفق.

- ولابد هنا ونحن نبحث في موضوع العبادات وخاصة الصلاة أن ندرس حديث النبي ﷺ في ذلك دراسة وافية، فقد استعرض النبي ﷺ في الحديث: «**مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**».

[أخرجه أبو داود في سننه عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

ثلاثة أوامر يجب أن نقف عندها وقفة إدراك وفهم لهذا المربي العظيم ﷺ الذي علّمه الله وأدبه.

الأمر الأول: «مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ».

فقد أمرنا النبي ﷺ أن نأمر أولادنا بالصلاة، وهم في السنة السابعة من عمرهم والأمر بالصلاة يعني أن نعلمهم:

أولاً: الطهارة: وهي طهارة البدن وطهارة الثوب وطهارة المكان.

ثانياً: نعلمهم كيفية الوضوء ومراحله وأن يكون ذلك عملياً بأن نتوضأ أمامهم ونأمرهم بالوضوء أمامنا حتى نستيقن أنهم قد تعلموا الوضوء بشكل جيد، مع تبيان أهمية الوضوء بأن نحفظهم مع الفهم قول النبي ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ**».

[أخرجه مسلم عن عثمان بن عفان]

ثالثاً: ثم يبدأ الوالدان بتعليم أطفالهما أركان الصلاة وواجباتها ومفسداتها.

- ويجب على الوالدين أن يتابعا أولادهما في هذا الموضوع متابعة دقيقة مع إعطاء الملاحظات بأسلوب لينٍ مقبول لتصحيح الأخطاء عند حدوثها

كما أرشد النبي ﷺ أنس وهو صبي إلى حسن أداء الصلاة وعدم الالتفات فقال له: «**يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالالْتِفَاتَ فِي الصَّلاَةِ فَإِنَّ الالْتِفَاتَ فِي الصَّلاَةِ هَلَكَةٌ**». [أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

- وكان رسول الله ﷺ يباشر بنفسه تعليم الأطفال ما يحتاجونه في الصلاة فقد روى الحسن ابن علي قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**». [أخرجه أبو داود والنسائي]

-كذلك كان يفعل الصحابة الكرام فقد روي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه قال: (يَا مَعْشَرَ الأَشْعَرِيِّينَ اجْتَمِعُوا وَاجْمَعُوا نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ أُعَلِّمْكُمْ صَلاَةَ النَّبِيِّ ﷺ صَلَّى لَنَا بِالْمَدِينَةِ فَاجْتَمَعُوا وَجَمَعُوا نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ فَتَوَضَّأَ وَأَرَاهُمْ كَيْفَ يَتَوَضَّأُ فَأَحْصَى الْوُضُوءَ إِلَى أَمَاكِنِهِ حَتَّى لَمَّا أَنْ فَاءَ الْفَيْءُ وَانْكَسَرَ الظِّلُّ قَامَ فَأَذَّنَ فَصَفَّ الرِّجَالَ فِي أَدْنَى الصَّفِّ وَصَفَّ الْوِلْدَانَ خَلْفَهُمْ وَصَفَّ النِّسَاءَ خَلْفَ الْوِلْدَانِ ثُمَّ أَقَامَ الصَّلاَةَ). [أخرجه أحمد في مسنده]

فاء الفيء: أي ما بعد الزوال من الظل سمي فيئاً لرجوعه من جانب إلى جانب.

-ولقد كان العلماء يشجعون الأطفال في هذه السن أن يؤموا الناس مع صغرهم، فقد اتفق الفقهاء على جواز إمامة الصبي البالغين في صلاة النافلة مطلقاً، وقال الحسن البصري والشافعي وإسحاق بصحة إمامة الصبي للكبار في الفرض. [المغني الشرح الكبير جزء٢ ص ٥٤]

– وقد قدم الشيخ محمد شريف اليعقوبي رحمه الله إمام المالكية بمسجد بني أمية بدمشق حفيده عبد الله الخالدي قدمه ليؤم الحاضرين في المسجد، وهو في سن السادسة من عمره تكريماً له وتشجيعاً، وقد أثمر ذلك في نفسه ثقةً وإقداماً، فتابع تحصيله العلمي حتى تخرج في الجامعة، ونال درجة الدكتوراة وأصبح إماماً وخطيباً لمسجد عمر بن العزيز ﷺ في بيروت.

– هذا وإن اهتمام الأمهات بأولادهنّ في هذه السن له أثر كبير فيما يؤول إليه هذا الغلام، ومن هذا القبيل ما حدّث به الإمام أحمد عن نفسه، فقد مات عنه أبوه وهو صغير، فقامت أمه على تربيته.

يقول الإمام أحمد رحمه الله: حفظتني أمي القرآن وعمري عشر سنوات، وكانت توقظني قبل صلاة الفجر بوقت ليس بالقصير، تدفئ لي الماء، لأن الجو كان بارداً في بغداد، وتلبس اللباس، ثم نصلي أنا وإياها ما شئنا (أي صلاة التهجد)، ثم تنطلق إلى المسجد، وهي مختمرة لتصلي معه صلاة الفجر في المسجد، وعمره عشر سنوات وتبقى معه حتى منتصف النهار تعلمه العلم.

يقول الإمام أحمد: فلما بلغت السادسة عشرة قالت: يا بني سافر في طلب الحديث، فإن طلب الحديث هجرة في سبيل الله، فأعدت له مستلزمات السفر، ثم قالت: إن الله إذا استودع شيئاً حفظه، فاستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

فسافر في طلب العلم إلى المدينة ومكة وصنعاء ليعود إليها وهو (الإمام أحمد)، وقد قدم للأمة ما قدم.

ورحم الله الشاعر حين قال:

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ وما التـــذكير فخـــرٌ للـــهلال

الأمر الثاني من الحديث: «وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ»

أشار النبي ﷺ إلى أن ضرب الطفل يبدأ في سن العاشرة من عمـــره، إذا قصر في صلاته، أو تهاون، أو تكاسل في أدائها، وذلك تأديباً له على ما فرط في حق نفسه وعلى ظلمه لها باتباع سبل الـــشيطان، لأن الأصـــل في هـــذه المرحلة أن ينصاع لأمر الله فهو ما زال في مرحلة الفطرية، والشيطان ما زال تأثيره عليه ضعيفاً فعدم صلاته دليلٌ على تمكن الشيطان منه شيئاً فشيئاً لذلك فهو بحاجة إلى العلاج النبوي وهو الضرب ولا بأس بإفهام الطفـــل ســـبب الضرب مع تلاوة حديث النبي ﷺ في ذلك.

-وفي موضوع ضرب الأطفال تباينت آراء أكثر المربين بـــين مؤيـــد للضرب ومعارض له ولكن أكثر علماء التربية الغربيين الذين رفضوا أسلوب الضرب، ومنعوا استخدامه في التربية، وانتقلت فكرهم إلى بلاد المسلمين، التي ترى أنّ الضرب أسلوب تربوي وحشي ومتخلف، رجعوا بعد مـــدة عـــن أفكارهم، ويلخص آراءهم الجديدة المربي الأمريكي سبوك الذي قال:(لقـــد ضَلَّلْتُ البشر في كتابي الذي طبع خمس عشرة طبعة والذي قررت فيه إلغـــاء العقاب، وتبين لي الآن أنه لابدّ من العقاب في تربية الأطفال).

[دور البيت في تربية الطفل المسلم ص ١٣٣- خالد أحمد الشنتوت]

-لكن علماء المسلمين يؤكدون على ضرورة اســـتخدام الـــضرب في تهذيب السلوك وتقويمه.

يقول ابن خلدون: (العقوبة البدنية آخر وسيلة يلجأ إليها المـــربي بعـــد استنفاد كل الوسائل الأخرى).

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله في كيفية التعامل مع أخطاء الأولاد: (فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره، ولا يكاشفه، ولا يظهر له أنه لا يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولاسيما إذا ستره الصبي، واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم الأمر فيه، ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا، وأن يطلع عليك أحدٌ في مثل هذا فتفتضح بين الناس، ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره). [إحياء علوم الدين جزء ٣ ص٧٣]

فهو ينبه إلى ضرورة التدرج بالعقوبة من الأخف إلى الأشد، وإلى ضرورة الحفاظ على هيبة المربي في نفس الولد، وإلا فإن كل أساليب التربية لن تؤدي إلى نتيجة إذا فقد المربي هيبته في نفس الولد، ونبه إلى ضرورة التوازن بين دور الأم والأب في عملية التربية.

والأهم من ذلك كله هو تغافل المربي عن السقطات التي تقع من الولد سهواً ويحرص على سترها حتى لا يتساهل الولد في إظهارها ونشرها، ولا يخفى الأثر النفسي الكبير في ذلك.

وقد نبه النبي ﷺ على هذا المبدأ الهام الذي يجب التعامل به قبل اللجوء إلى ضرب الولد فيما روي عن أسد بن وداعة أن رجلاً يقال له: جزير أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أهلي يعصونني فبم أعاقبهم؟ قال: «**تعفو**»، ثم قال الثانية، حتى قالها ثلاثاً، قال:

«إن عاقبت فعاقب بقدر الذنب، واتق الوجه».

[أخرجه الطبراني في مجمع الزوائد]

– ويجب أن يعلم الوالدان أن التأديب ليس عملاً انتقامياً من الطفل وإنما هو عملٌ تربوي ووسيلة تربوية، ويجب أن يمر بمراحل:

أولاً– اتباع أسلوب التربية بالثواب قبل العقاب:

حيث إنّ إثابة المحسن على إحسانه وعقاب المسيء على إساءته مبدأ إسلامي لقوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الرحمن: ٦٠)

ولقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ (الشورى: ٤٠)

– فينبغي للوالدين حين يود أحدهم غرس العادات الطيبة في نفوس أطفالهما أن يبدأ بمكافأة الطفل على إحسانه القيام بالعمل، مما يبعث في نفسه جانباً من الارتياح الوجداني.

– وقد قدر السلف أهمية ترغيب الأبناء وثوابهم في حسن استجابتهم فقد روى النضر بن الحارث قال: سمعت إبراهيم بن الأدهم يقول: قال لي أبي: يا بني اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم فطلبت الحديث على هذا. [كتاب أصول الحديث للدكتور عجاج الخطيب]

والثواب قد يكون مادياً ملموساً كإعطاء الطفل لعبة أو حلوى أو نقودا أو غير ذلك، أو يكون معنوياً يفرح نفسه كالمدح والابتسام والاعتزاز بالطفل لعمله الطيب أمام الناس.

– أما عندما يجد الوالدان ضرورة العقاب، فإن ذلك لا يعني الضرب بشدة والتحقير كما يظن الكثيرون، وإنما تعني مساعدة الناشئ للوصول إلى أقصى كمال ممكن.

فلا يصح توجيه الكلمات التحقيرية للأطفال كأن يقال لهم يا كذاب يا لص يا خبيث يا شرير يا حرامي يا حقير إلى غير ذلك من هذه الألفاظ التي تؤثر في أعماق الطفل وتزيده عنفاً وغضباً على والديه.

فإن أخطأ الطفل للمرة الأولى تغافل الوالدان عنه، واكتفي بالامتعاض عن طريق تعابير الوجه، فإن أخطأ ثانية يعاتب سراً مع التحذير بأن يقال له: إياك أن تعود لمثل هذا، وأن يطّلع عليك الناس، مع تنبيهه إلى سوء ما أقدم عليه فور وقوع الخطأ.

ثانياً- التأديب بتصحيح خطأ الطفل فكرياً ثم عملياً:

وذلك بأن نبين له عند تصرفه التصرف الخاطئ أنه أقدم على تصرف خاطئ فنبين له الخطأ من الصواب وندربه عملياً على الصواب.

مثال ذلك: لو أن الطفل تكلم كلمة لا تليق أو تصرف تصرفاً سيئاً، نبين له أن هذه الكلمة أو الفعل يجب أن لا يصدر منه مع تبيان السبب في ذلك، ثم نوجهه إلى الكلمة الطيبة والعمل الصحيح كما فعل النبي مع الحسن عندما أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَخِ كَخِ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**». [أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

قال النووي قوله: ﷺ ((كخ كخ)) كلمة زجر الصبي عن المستقذرات.

ثالثاً: التدرج في تأديب الطفل:

إذا لم يصلح الطفل بالتصحيح الفكري والعملي، وأصر على ارتكاب الخطأ كان التأديب حقاً لازماً عليه، ويتبع معه العقوبات بالخطوات التالية:

المرحلة الأولى: رؤية الأطفال للسوط والخوف منه:

كثير من الأطفال يردعهم رؤية السوط، وأداة العقوبة، فبمجرد إظهارها لهم يسارعون إلى التصحيح، ويتسابقون إلى الالتزام فتتقوم أخلاقهم وسلوكهم.

(فقد روى البخاري في الأدب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمر بتعليق السوط في البيت) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُ الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ لَهُمْ أَدَبٌ**».

[أخرجه الطبراني في الكبير]

فلا بد من وجود السوط أو العصا في البيت، ليخاف الطفل من أن يتعمد الخطأ أو المعاندة

المرحلة الثانية: شد الأذن:

وهي أول عقوبة جسدية للطفل إذ بهذه المرحلة يتعرف على ألم المخالفة، وعذاب الفعل الشنيع الذي ارتكبه، واستحق عليه شد أذنه.

عن عبد الله بُثر المازني الصحابي قال: بعثتني أمي إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب فأكلت منه قبل أنْ أُبلِغَهُ إياه. فلما جئت أخذ بأذني وقال: «**ياغُدر**». (من الغدر) [أخرجه ابن ماجه والطبراني]

إذا لم يُجدِ مشاهدة العصا و لم يُجدِ شد الأذن في تأديب الطفل وبقي مصراً على المشاكسة والعناد كان لابد من هذه المرحلة ضمن قواعد لابد منها.

القاعدة الأولى: ابتداء الضرب من سن العاشرة:

انطلاقاً من توجيهات النبي ﷺ التي وردت في أحاديثه في هذا الموضوع.

القاعدة الثانية: أقصى الضربات للتأديب ثلاث:

كما ذكر ذلك أهل العلم والتربية.

القاعدة الثالثة: الالتزام بمواصفات أداة الضرب وطريقته ومكانه:

١- أن تكون أداة الضرب (السوط أو العصا) متوسطة بين القاسية واللينة.

٢- أن يكون الضرب بين الشديد والضعيف خشية أن يكون فيه إيذاء.

٣- ألا يوجه الضرب إلى مكان واحد وأفضل مكان للضرب الكفين أو أسفل القدمين أو الإليتين فإن الضرب في هذه الأماكن يؤلم ولا يؤذي.

٤- أن يحذر الضرب على الوجه أو الرأس أو الأعضاء التناسلية وفي ذلك يقول ﷺ: «**إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ**».

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

٥- إذا ذكر الطفل الله تعالى فيجب رفع اليد عن الضرب قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ خَادِمَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ فَارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ**».

[أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

يجب على الوالدين ألا يضربا أولادهما في حالة الغضب لأن الضرب في حالة الغضب يجعلهما يتجاوزان الحد ويضربان انتقاماً لا تربية.

كما أنه يجب على الوالدين عند استعمال الضرب الانتباه إلى مشاعر وعواطف الأطفال فكل طفل يختلف عن الآخر فإن احتاج الذكر للضرب فإن الأنثى لا تحتاجه ويكفيها العبوس وإظهار عدم الرضا كذلك فإن الولد في سن المراهقة لا ينفع معه الضرب لأن ضربه سوف يؤدي إلى نتائج سلبية.

الأمر الثالث من الحديث: (وفرقوا بينهم في المضاجع):

وهذا التفريق يبدأ من سن العاشرة حيث تكون الغريزة الجنسية في طريقها للنمو، ويتم التفريق في المضجع أي مكان النوم بأن ينام كل طفلٍ بلحافٍ خاصٍ به، فيجب عدم نوم طفلين في لحاف واحد، والأفضل أن يهيأ الأمر بأن ينام كل طفل على سريرٍ خاصٍ به ولابد في هذه السن من تفريق الذكور عن الإناث في مكانين مختلفين.

- وهذا الموضوع يدل على عظمة الإسلام وتقدميـــة مبادئـــه وثباتهـــا وصلاحها لكل زمان ومكان.

- إن نظرية التفريق بين الأولاد في المضاجع التي أمرنا بها النبي ﷺ قبـــل أربعة عشر قرناً، يتحدث عنها العلماء بكل بلاد العالم من مسلمين وغيرهم في كتبهم الطبية والجنسية ويحضون عليها ويوضحون مزاياها ويحذرون من إهمالها.

- لذلك يجب على الوالدين أن يجعلا غرفة نومهما خاصة بهما كـــذلك إن أمكن جعل غرفة للذكور وغرفة أخرى للإناث وفي أضيق الأحوال يجب فصل المكان بأي وسيلة كانت.

- كذلك يجب الانتباه إلى موضوع ستر العورة كما أمر الشرع بهـــا، وعدم التهاون في شأن الملابس للذكور أو الإناث التي تظهـــر العـــورات أو الملابس الضيقة التي تثير الشهوات، وأن يلتزم كل فرد في الأسرة بهذه الآداب يلتزم بها الوالدان أمام أولادهما والأولاد فيما بينهم أو بين والديهم أو بينـــهم وبين أخواتهم.

ثانياً: بناء العقيدة السليمة عند الطفل:

– وذلك من خلال شرح حديث النبي ﷺ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّـهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

[أخرجه أحمد في مسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

وضمن الخطوات التالية:

أ– الإيمان بالله من خلال ما يلي:

١– تعميق إيمان الطفل بالله:

يكون الطفل في هذه المرحلة مقلداً لوالديه في كل شيء حتى في الإيمان بالله تعالى، فالطفل في هذه المرحلة يميل دائماً إلى علاقات الحب والمودة والرقة واللين فيجب الاستفادة من هذا الميل لتعميق الصورة التي يحملها الطفل في عقله عن الله تعالى، تلك الصورة التي تحمل صفة مانح الحب والرحمة والعطاء له، فيزداد تعلقه بالله تعالى ويتولد عن هذا الحب الاحترام والهيبة في السر والعلن، ويجب ألا نجعل العلاقة بين الطفل وربه قائمة على الخوف من عقابه أو من جهنم.

كما أن حب الله يعني الاستشعار بأنه ﷻ يرعانا ويحفظنا في كل وقت ومكان مما يترتب عليه الشعور بالراحة والاطمئنان والثبات، وعدم القلق أو الحزن، ومن ثم سلامة النفس والجسد من الأمراض النفسية والعضوية بل والأهم من ذلك السلامة من المعاصي والآثام.

فعلينا أن نغذيهم ونحفظهم ونشعرهم بأنه: (من كان مع الله كان الله معه فمن يكون إذن عليه، ومن لم يكن مع الله لم يكن الله معه وكان عليه فمن يكون معه).

والأفضل دائماً أن نردد معهم ونحفظهم بعض الأناشيد التي تبرز هـــذا المعنى مثل:

نشيد أحب الله

أحـــب الله مـــن قلـــبي وأقـــصده علـــى دربي
أعـــدد مـــن فـــضائله فلا تحصى لـــه كـــتبي
أدقـــق في خلائقـــه فأشـــهد أنـــه ربي
فـــيعلم كـــل خافيـــة ويسمع نبـــضة اللـــب
فـــأدعوه واســـأله فأشـــعر أنـــه جـــنبي
أصـــون الله في سمعـــي وفي بـــصري وفي قلـــبي
أصـــون الله في جَمْعـــي أصـــون الله في غـــيبي
أصـــون الله في صـــغري ليحفظني لـــدى شـــيبي
أحـــب الله في بعـــدي أحـــب الله في قـــربي
أحـــب الله في يـــسري وفي عسري وفي كـــربي
أحـــب الله مـــن قلـــبي وأقـــصده علـــى دربي
أعـــدد مـــن فـــضائله فلا تحصى لـــه كـــتبي
أحـــب الله مـــن قلـــبي نشيدٌ طاب يا صـــحبي

نشيدٌ طاب يا صحبي

٢- تعميق استشعار الطفل بمراقبة الله تعالى له:

ينبغي للوالدين أن يربيا في أولادهما الشعور بمراقبة الله سبحانه لهم في كل تصرفاتهم وأحوالهم، وذلك بأن يُغرس في أعماقهم أن الله ســبحانه يــسمعهم

ويبصرهم، ويعلم سرهم ونجواهم ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وتربية الولد على الشعور بأن الله سميعٌ بصيرٌ لا يغيب عنه شيء، يجب أن تكون غاية جميع الآباء والأمهات وشغلهم وهدفهم الأكبر، وذلك لا يكون إلا في تنشئة الولد عليها وغرسها في أحاسيسه وأفكاره وجميع تصرفاته، وليجعل الوالدان من آيات الله شعاراً لأولادهما يرددونه دائماً، وفي مناسبات متعددة منها كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤).

وقوله ﷻ: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠).

ومن أفضل الأساليب في ترسيخ هذا التوجيه في أعماق الناشئة والتأثير في نفوسهم الأسلوب القصصي، وذلك بأن نقص عليهم قصصاً في هذا الموضوع من تاريخنا المشرق، ومن أمثلة ذلك:

أولاً– قصة فأين الله: كان ابن عمر؛ رضي الله عنه، في سفر، فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة؟ فقال: إنها ليست لي فقال: قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة، فقال العبد: فأين الله!! فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة: ما قال ذلك العبد: فأين الله؟ فأين الله؟

[الرسالة القشيرية]

ثانياً– قصة لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد: كان لبعض المشايخ تلامذة.. فكان يخص واحداً منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا له في ذلك، فقال: أبين لكم ذلك. فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: إذبحه بحيث لا يراك أحد، ودفع إلى هذا الغلام أيضاً، فمضوا.. ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره، وجاء هذا بالطائر حياً فقال له

شيخه: لماذا لم تذبحه؟ فقال: أمرتني أن اذبحه بحيث لا يراني أحد فلم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد إذ أن الله يراني أينما كنت، فنظر الشيخ إلى تلامذته، وقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه. [المرجع السابق]

ثالثاً– قصة بائعة اللبن: أصدر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قانوناً يمنع غش الحليب بخلطه بالماء وبينما كان يسير في أزقة المدينة سمع امرأة تأمر ابنتها أن تخلط الحليب بالماء طمعاً في زيادة الربح، فأجابتها البنت لكن أمير المؤمنين منع ذلك، فقالت الأم: إن أمير المؤمنين لا يرانا، فقالت البنت: إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين يرانا، فأعجب الخليفة بجواب البنت فخطبها لابنه عاصم وزوجه إياها.

فما أجمل أن يجعل الوالدان بطاقة جميلة ملونة زاهية توضع بين يدي الطفل وتلصق على سريره يرددها في مجالات متعددة، وخاصة قبل نومه كتب فيها:

الله معي، الله يراني، الله يسمعني
الله ناظر إليّ، الله شاهد عليّ
إلهي ماذا فقد من وجدك، وماذا وجد من فقدك

وما أجمل أن يكون بين يدي طفلنا بطاقة أخرى كتب عليها وصية لقمان لابنه في قوله تعالى:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ (لقمان: ١٦)

حبة خردل

على أن تلصق في هذه البطاقة حبة الخردل، تكون هذه البطاقة بين يدي هذا الطفل يقلبها وينظر إليها في كل يوم، ونسأله عن معناها، وقد شرحناه له عدة مرات ليحفظه:

(أي يا ولدي إن الحسنة أو السيئة أو المظلمة أو الذنب من قولٍ أو فعلٍ، لو كانت بمقدار حبة الخردل صغراً ووزناً، وحدثت في أخفى مكان وأدقه، في جوف صخرة أو في أعلى مكان في السموات أو في أسفل موضع في باطن الأرض علم الله موضعها ورآها وأحضرها يوم القيامة حين الحساب ووزن الأعمال، والمجازاة عليها خيراً أو شراً، كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

وقوله ﷻ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (الزلزلة: ٧-٨).

يا بني إنّ الآية تدل على أنّ العمل أو القول مهما دق ومهما خفي مكانه فكان في جوف صخرة مجهولة أو علو مرتفع في السموات أو أسفل موضع في باطن الأرض في مكان لا يعرفه أحد لدقته وبعده وخفائه، فإن الله مطلع عليه، عارفٌ بكل أموره، يراه في دقته حجماً ودقته خفاءً أو مكاناً فالله لا يخفى عليه خافية يعلم ممن صدر؟ ومتى صدر؟ وكيف صدر؟ وأين صدر؟ بل يعلم الحالة النفسية والفكرية والقلبية والأحاسيس الداخلية والدوافع العميقة للذي صدر منه ذلك القول أو العمل، حسناً كان أو سيئاً، مظلمة كانت أو إثماً أو خطيئة أو ذنباً.

ليس فقط يعلمها سبحانه بل وسوف يأتي بها الله يوم القيامة ويعرضها على صاحبها الذي ظن أنه أخفاها بل نسيها أو تناساها، فالله لا ينسى شيئاً، وسيعرضه على صاحبه، ويحاسبه عليه خيراً أو شراً، جنة أو ناراً.

سبحانه وتعالى ما أكمل علمه، وما أعظم قدرته، وما أجلَّ إرادته، قد أحاط بكل شيءٍ علماً وأحصى بكل شيءٍ عدداً.

وقوله سبحانه: ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ أبلغ من قول القائل: يعلمها الله فهو سبحانه عالم بالأشياء مع قدرته عليها سبحانه وتعالى ومحاسبة المرء عليها.

يا بني اسمع ما روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلاَ كُوَّةٌ لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِناً مَا كَانَ»**. [أخرجه أحمد في مسنده]

ردد يا بني معي هذه العبارة بعد أن تحفظها: (الله يعلم ويرى ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء).

عندما يتربى الأولاد هذه التربية فلن يرتكبوا إثماً أو ذنباً أو معصية لأنهم يراقبون الله تعالى ويعلمون مدى علمه وإرادته وقدرته سبحانه، فما أعظم تربية القرآن وما أحرى المربين أن يلتزموا بها.

٣- تعميق صلة الطفل بالله تعالى واعتماده عليه:

قوة الصلة بالله والاعتماد عليه أمرٌ أساسي في بناء عقيدة الطفل في المراحل الأولى من عمره، حتى تكون حياته خالية من القلق والاضطرابات النفسية، وأفضل أسلوب لذلك أن نحفظ الطفل وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما، -وكانت سنه تقارب ضمن هذه الفترة التي نتحدث عنها،

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْماً فَقَالَ: «**يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**». [أخرجه الترمذي]

قوله ﷺ: (**احفظ الله**) يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه.

وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه.

(**يحفظك**): يعني أن من حفظ حدود الله ورعى حقوقه حفظه الله فإن الجزاء من جنس العمل، وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظٌ لمصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، ومن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله.

وثانيهما: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه فيحفظ في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان.

(**احفظ الله تجده تجاهك**): معناه أن من حفظ حدود الله ورعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده.

(**وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**): أي إذا سألت فاسأل الله ولا تسأل غيره في كل حاجاتك، وإذا استعنت فاستعن بالله دون

غيره في كل أمورك، ومن سأل الله واستعان به حصل له المراد لأن الله على كل شيءٍ قدير.

(**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ**)، أي: اعلم أنه لو اجتمع جميع الخلق على نفعك أو ضرك فليس الأمر بيدهم وإنما هو بيد الله سبحانه ولا يصيب العبد إلا ما كتب الله له، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (التوبة: ٥١).

(**رفعت الأقلام وجفت الصحف**): كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد.

٤- تعميق ذكر الله في أعماق الطفل وكلامه وسلوكه:

يجب على الوالدين الإكثار من ذكر الله تعالى أمام الطفل فيشعرانه بالقول والفعل أنّ بالإكثار من ذكر الله تعالى ينبسط الخاطر، ويهدأ القلب، وتسعد النفس، ويرتاح الضمير،وذلك من خلال ذكر الله عند البدء بأي عمل نقوم به، بأن نقول بسم الله الرحمن الرحيم عند الطعام، وعند الشراب، وعند اللباس، وعند دخول البيت أو الغرفة، وغير ذلك،وأن نعلمه الأذكار المأثورة عندما يصبح، وحين يمسي، وحين ينام، وغير ذلك من أحواله.

[راجع كتبنا الآداب الإسلامية للناشئة]

٥- تعليم الطفل إخلاص النية لله:

يجب على الوالدين تدريب الطفل على إخلاص النية فإذا نوى عمل أي شيء أن يكون عمله خالصاً لوجه الله، وإرشاده بأن ينوي بكل ما يفعله

مرضاة الله تعالى، فإنه سينال أجراً عظيماً على كل ما يمارسه من أمور حياته، فينوي عند طعامه وشرابه التقوي على طاعة الله، وعند لباسه التجمل من أجل الله، وعند ملاحظته للأشياء التفكر في عظيم خلق الله، وأن يربط كل عمل يقوم به بمرضاة الله.

٦- تعليم الطفل التجاءَه إلى الله ودعاءَه:

يجب على الوالدين إشعار الطفل دائماً أن الله عنده خزائن عظيمة ملأى بالخيرات، وبكل شيء تتمناه النفس والوصول إلى هذه الخزائن لا يكون إلا من خلال الدعاء والطلب من الله سبحانه وتعالى ليعطينا ويجود علينا بما عنده فالدعاء يعافي الله به المبتلى وينصر المظلوم ويهدي الضال ويشفي المريض ويفرج عن المكروب والله قريبٌ سميعٌ مجيبٌ يجيب المضطر إذا دعاه، فالإنسان فقير ضعيف محتاج والله هو الغني القوي الكريم المجيب.

فينبغي أن يقوم الأب أو الأم برفع كفيه ويعلم الطفل كيف يرفع كفيه، وكيف يطلق لسانه في الدعاء، ويكثر في الطلب، ويبالغ في السؤال، ويلح على الله وعليهما أن يغرسا في طفلهما أن الله يحب الإلحاح في الطلب وبابه مفتوح في الليل والنهار لا يغلقه أبداً، فإذا ما دعا الإنسان ربه فإن الله إما أن يستجيب له مباشرة أو قد يؤخر الإجابة لمصلحة من دعاه أو أن يعطيه أفضل مما دعا أو يرفع البلاء عنه أو يدخره للآخرة.

وينبغي للوالدين أن يشاركا أطفالهما الدعاء في مناسبات كثيرة، فقد كان أنس ﷺ إذا ختم القرآن جمع أولاده وأهل بيته ودعا بهم جميعاً.

وينبغي للوالدين أن يشجعا أطفالهما بأن يطلبا منهم الدعاء.

ومن المهم أيضاً في هذه السن أن يربط الوالدان كل أمر من أمور تربيتهما لأولادهما بنشيد مناسب يربطهم بهذا الأدب.

يا ربنا الرحمن

يـــا ربنـــا الـــرحمن يـــا خـــالق الإنـــسان
ومبـــدع الأكـــوان بـــالجود والإحـــسان
أنـــت بنـــا رحـــيم ودائمـــا حلـــيم
مطلـــع علـــيم بـــالجهر والكتمـــان
فـــتعلم الأســـرار بالليـــل والنـــهار
في الجـــو والبحـــار وســـائر البلـــدان
فـــاغفر لنـــا الـــذنوب وطهـــر الأبـــدان
واكتب لنـــا النجـــاح والفـــوز والفـــلاح
بالهـــدى والـــصلاح والجـــد والإتقـــان

٧- تعليم الطفل شكر الله تعالى:

ينبغي للوالدين وفي كل مناسبة إعلام الطفل أن كل نعمة بين أيدينا هي من نعم الله علينا، وأن نعمه لا تعد ولا تحصى، وأنَّ من واجبنا أن نشكر الله ﷻ ونحمده على هذه النعم لأن بالشكر تدوم النعم ويـــزداد فـــضل الله ﷻ علينا وأن الشكر يكون باللسان وذلك بتسبيح الله تعالى وذكره الدائم ويكون بالقلب بتعظيم الله وإجلاله وتوقيره ويكون بالعمل وذلك باستخدام نعمـــه فيما أمر والابتعاد عما نهى الله عنه وزجر.

٨- تعليم الطفل أسماء الله الحسنى وصفاته العلى:

ينبغي للوالدين بين الفترة والأخرى وحسب المناسبات والظروف ذكر بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا مع شرح معانيها بما يتناسب مع عقـــل الطفل وفهمه، وربطها بتلك المناسبات والظروف.

٩- تثبيت الإيمان بالملائكة عند الطفل:

ينبغي للوالدين أن يبينا لأطفالهما أنَّ هناك ملائكة خلقهم الله ﷻ من نور، ولهم وظائف متعددة منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وعددهم كثير جداً، وهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولهم وظائف كثيرة فمنهم الموكل بحفظ العبد في حله وترحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل حالاته، ومنهم بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون فالذي على اليمين يكتب الحسنات والذي على الشمال يكتب السيئات.

١٠- تثبيت الإيمان بالرسل والكتب:

ينبغي للوالدين أن يعلما أطفالهما أن الله ﷻ ومنذ أن خلق آدم كان يرسل الأنبياء والمرسلين ليدلوا الناس على الله، ويهدوهم إلى السبيل الصحيح والطريق القويم، ويعلموهم أمور دينهم وهم كثيرون ومنهم: (آدم- إدريس- نوح- هود- صالح- إبراهيم- لوط- إسماعيل- إسحاق- يعقوب- يوسف- أيوب- ذو الكفل- شعيب- موسى- هارون - إلياس- اليسع- داود- سليمان- يونس- زكريا- يحيى- عيسى- محمد) صلوات الله عليهم أجمعين.

وينبغي للوالدين أن يعلما أولادهما أن الله ﷻ آتى مع بعض الأنبياء والرسل صحفاً وكتباً سماوية منها: صحف إبراهيم وموسى والزبور أنزله الله على سيدنا داود عليه السلام والتوراة أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام والإنجيل أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام والقرآن الكريم أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ.

١١- تثبيت الإيمان بالقدر:

ينبغي للوالدين أن يحدثا أولادهما عن القدر، وأن له معانٍ متعددة منها:

أولاً– ما قدره الله لهذا الوجود من نظام محكم وقوانين عامة وسنن ربط بها الأشياء بمسبباتها.

ثانياً– ما قدره الله لمخلوقاته من خلق وأجل وزمان ومكان ورزق ونوع وهيئة ولون وغير ذلك.

ثالثاً– علم الله السابق بمخلوقاته وأعمالهم وعلمه بالأشياء قبل كونها وكتابتها عليه قبل حدوثها، ثم وقوعها في وقتها على القدر المخصوص والوجه المعين الذي سبق علمه بها.

وينبغي للوالدين ترديد حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مناسبات متعددة: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**». [أخرجه الترمذي]

١٢– تثبيت الإيمان باليوم الآخر والترغيب بالجنة:

في هذه السن يسمع الأطفال كلمة الموت بين أقاربهم فينبغي للوالدين أن يبينا للأطفال معنى الموت وأنه انتقال للروح إلى عالم الآخرة، فتجتمع الأرواح بكل من مات سابقاً من الأهل والمعارف، وأنَّ المؤمن سيدخل الجنة، ويجب تركيز الحديث حول نعيم الجنة بما يتناسب مع رغباتهم من أكل وشرب ولعب ولهو وغير ذلك، مؤكدين أن من يحصل عليها يجب أن يكون حسن الخلق، محافظاً على الصلوات ملتزماً بالآداب الإسلامية ويحرم منها من لم يلتزم بذلك ويؤجل التركيز على النار والعذاب إلى مرحلة متقدمة من عمر الطفل.

وحبذا أن ينشد الوالدان مع أطفالهما مثل هذا النشيد:

أن تدخلني ربي الجنة

أن تـــدخلني ربي الجنـــة هذا أقصى مـــا أتمـــنى
وأنال الدرجات العليـــا يـــا ذا المنـــة: يـــا رب
لا حـــول ولا قـــوة إلا بك يا ذا القوة يا مولاي
فأعن واصرف عني الجهل يـــا ذا المنـــة: يـــا رب
يا لهنائي حـــين ألاقـــي في الجنة صحبي ورفـــاقي
فرحين بـــنعم الخـــلاق يـــا ذا المنـــة: يـــا رب
يا مـــولاي إنَّ منـــاي أن تحفني من كل خطاي
ثبت لي رشداً وهدايـــة يـــا ذا المنـــة: يـــا رب

❁ ❁ ❁

ثالثاً: تعميق محبة النبي ﷺ في نفوسهم:

في هذه المرحلة تنمو المشاعر والعواطف والأحاسيس عند الطفل من حب وبغض وانجذاب ونفور واندفاع وانكماش فيجب على الوالدين استثمار حالات الاستعداد العاطفي عند الطفل وتنمية مشاعره وعواطفه وتوجيهها نحو الارتباط أولاً بالله ﷻ وثانياً بحب الوالدين والإخوة والأهل، وهذا يساعد في توجيه الطفل من وراء هذه المحبة نحو القيم والأخلاق، وفي هذه الفترة يجب التوجيه نحو محبة النماذج البشرية البارزة في ديننا والارتباط بها وأعلى ذلك التركيز والتأكيد على حب النبي ﷺ وحب أهل بيته وصحابته الكرام.

وعلينا أن نَعْلَمَ ونُعَلِمَ أن المقصود من حب النبي ﷺ ليس فقط العاطفة المجردة وإنما موافقة أفعالنا لما يحبه النبي ﷺ وكره ما يكره والعمل بما يجعله يفرح بنا يوم القيامة قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران: ٣١).

وعلامة حبنا له ﷺ أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا ومن كل شيء، كما قال ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِه وَوَلَدِه وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». [أخرجه البخاري عن أنس بن مالك]

ولقد وجهنا النبي ﷺ إلى هذه التربية، وما يجب أن نؤدب عليه أطفالنا، فقال ﷺ: «**أَدِّبوا أولادَكم على ثلاثِ خِصَالٍ حبِّ نبيكم وحبِّ أهل بيته وقراءةِ القرآن فإن حملة القرآن في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه**». [جامع الأحاديث وهو ضعيف]

فقد أمرنا النبي ﷺ في هذا الحديث أن نؤدب أولادنا على حب النبي ﷺ وآله الأطهار، وتلاوة القرآن.

ومن مظاهر تعميق حب النبي ﷺ في قلوب الأطفال وتمكينه في نفوسهم أن نكثر من الحديث عن النبي ﷺ وسيرته وأحاديثه بما يتناسب مع الأطفال في هذه السن ومع التوجيه الدائم إلى ضرورة الإكثار من الصلاة والسلام عليه حين يرد ذكره ﷺ، وعلى الوالدين تعليمهم الصلوات الإبراهيمية مع حفظها وحفظ معانيها لتكون للأطفال نشيدا يتغنون بها في فراغهم وفي مناسبات متعددة، ويتمتعون بكلماتها، ويتنورون بنورها، وذلك عملاً بما حض الله عباده المؤمنين عليه وأمرهم به بعد أن أوضح لهم قيمة هذه الصلاة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وينبغي للوالدين تأديب الأطفال على سنته ﷺ في كل أمر حياتهم من طعام وشراب ولباس ونوم واستيقاظ وسلام وغير ذلك، وأن يكثر الوالدان وخاصة الأم من ذكر حياة النبي ﷺ ومعاملته للأطفال وكيف كان يحبهم ويرعاهم ويتفقدهم ويكثر من السلام عليهم واللعب معهم، وقد مر معنا سابقاً اهتمام النبي ﷺ بهذه الطفولة وطريقة تربيتها السليمة.

فما أجمل الأم أن تجلس إلى جانب أطفالها في هذه السن، وهم على فراش النوم تهدهدهم بهذه القصص مع قصص الصحابة الكرام وبطولاتهم حتى يناموا نوماً هنيئاً ينعمون بأنوار ذكر النبي ﷺ وآل بيته الطيبين وصحابته الطاهرين، وهذا أفضل بكثير من أن ينام الطفل على قصص خرافية مفزعة لا فائدة منها ولا جدوى ولا أخلاق ولا أدب.

كم يحتاج الوالدان إلى توعية بهذا الموضوع ليربيا أطفالهما على القيم الكريمة بدلاً من أن يتركا أولادهما على شاشة التلفاز أو على شاشة

الحاسوب، يتابعون برامج الأطفال السخيفة المعدة لتخريب عقل هذا الجيل ووجدانه وعاطفته، وإبعاده عن قيمه وآدابه ودينه.

كما ينبغي للوالدين أن يعلما أبناءهم بعض أحاديث النبي ﷺ التي تتناسب مع أعمارهم، والتي تتحدث عن طفولتهم وواجباتهم وآدابهم وأخلاقهم وسلوكهم.

فقد كان النبي ﷺ كثيراً ما يتوجه إلى الأطفال مؤدباً ومعلماً وناصحاً ومرشداً، فيظل ذاك الإرشاد معهم طيلة حياتهم لا ينسونه أبداً.

عَنْ أَبِى الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيّ قَالَ قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيّ ﷺ مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ حَفِظْتُ مِنْهُ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**». [أخرجه الترمذي]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ إلى الصلاة وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِى بَصَرِي نُورًا، وَفِى سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُوراً**». [أخرجه البخاري]

روي عن سمرة بن جندب ﷺ قال: لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا أنّ ها هنا رجالاً هم أسن مني. [أسد الغابة لابن الأثير]

ولقد كان اهتمام المربين كبيراً بتعليم أولادهم الحديث الشريف وتحفيظهم إياه وتشجيعهم على ذلك بالمكافآت المتعددة.

ذكر الخطيب البغدادي في كتابه (شرف أصحاب الحديث ص١٠): روى النضر بن الحارث قال: سمعت إبراهيم بن الأدهم يقول: قال لي أبي: يا

بني اطلب الحديث فكلما سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم فطلبت الحديث على هذا.

ويعلق الدكتور عجاج الخطيب في كتابه أصول الحديث على هذه القصة فيقول: كان والدي -حفظه الله- يعطيني عشرة قروش سورية على حفظ الحديث من الأربعين النووية متبعاً هذا المنهج فجزاه الله خير الجزاء.

وقد ذكر الدكتور عجاج الخطيب في كتابه السابق قصة فقال: ذكر صاحب كتاب (المحدث الفاصل) روى سفيان بن عيينة قال: كان أبي صيرفياً بالكوفة، فركبه الدين، فحملنا إلى مكة، ورجعنا إلى المسجد لصلاة الظهر وصرت إلى باب المسجد إذ شيخٌ على حمار، فقال لي: يا غلام امسك عليّ هذا الحمار حتى أدخل هذا المسجد فأركع قلت ما أنا بفاعلٍ أو تحدثني، قال: وما تصنع أنت بالحديث، واستصغرني، فقلت حدثني، فقال: حدثني جابر عن عبد الله وحدثنا ابن عباس فحدثني بثمانية أحاديث فأمسكت حماره، وجعلت أتحفظ ما حدثني به (أي أكرر ما حفظته) فلما صلى وخرج قال: ما نفعك ما حدثتك به إذ حبستني! فقلت: حدثتني بكذا، وحدثتني بكذا فرددت عليه جميع ما حدثني به، فقال: بارك الله فيك تعال غداً إلى المجلس فإذا هو عمر بن دينار.

هذا تأثير توجيه الآباء للأبناء في هذه السن وترغيبهم في حفظ أحاديث النبي ﷺ، فالطفل إلى ما يوجّه يتوجه، وبما يحبب يحب، فما أجمل أن نحبب إلى أبنائنا أحاديث النبي ﷺ بدل الكلام الفارغ الذي لا طائل منه أو إضاعة أوقاتهم بما لا فائدة منه.

إن ترغيب الوالدين أبناءهم وتوجيههم نحو حفظ أحاديث النبي ﷺ وسيرته تجعلهم يسرعون إلى متابعة البحث عن هذه السيرة والأحاديث كما

رأينا في القصة السابقة، من ولع هذا الطفل بالحديث فقد طلب أجرة عمله حفظ الأحاديث، فهل يُنَشِّئُ الآباء أولادهم على ذلك.

وهل يسعى الوالدان إلى توفير كتب مبسطة مناسبة لهذه السن بين أيدي أطفالهم يتناولونها معهم، أو توفير كتب سيرة النبي ﷺ المصورة التي تجذب الأطفال في هذه السن بدل تلك القصص والمجلات التي لا تجلب الفوائد الكثيرة.

وعندما نتحدث عن العناية بالأطفال يجب أن تنصرف أذهاننا نحو الذكور فقط، ولكن يجب الاهتمام بالإناث أيضاً، فكم من بنت فاقت والديها.

جاء في كتاب (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب) لابن فرحون المالكي قال، قال الزبيدي: كان للإمام مالك ابنة تحفظ علمه، يعني الموطأ، وكانت تقف خلف الباب فإذا أخطأ التلميذ نَقَرَت الباب، فيفطنُ مالك، فيردّ عليه.

وقد حرص الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم على دراسة سيرة النبي ﷺ، وتلقينها لأطفالهم حتى إنهم ليقرؤونها مع تعليم القرآن لأنها الترجمان لمعاني القرآن مع ما فيها من إثارة العاطفة ومشاهدة الواقع الإسلامي، وتأثير عجيب في النفس، فهي تحمل في طياتها من معاني الحب، وإنقاذ البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، ومن ظلمات البشرية إلى نور الإسلام ما فيها.

عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: يا بني إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها.

[كتاب محمد رسول الله للشيخ محمد رضا]

وقال زين العابدين بن الحسين بن علي ﷺ: كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن. [المصدر السابق]

وقال السمعاني: يجب على الآباء تعليم أولادهم أن النبي ﷺ بعث بمكة إلى كافة الثقلين ودفن في المدينة وأنه واجب الطاعة والمحبة. [فيض القدير للمناوي]

فهل يعي الوالدان المسلمان اللذان يرغبان بتربية أبنائهم تربية إسلامية نموذجية هذا الموضوع ويهتمان به كامل الاهتمام لما له من تأثير عجيب في تربية الأولاد، فيهيّآن لأولادهما مكتبة خاصة تضم كتباً مناسبة لأعمارهم، فقد انتشر في وقتنا الحاضر العديد منها وهي ممتلئة بالصور المعبرة التي تجذب الأطفال إليها.

كما ينبغي للوالدين متابعة تداول قراءة هذه الكتب مع أطفالهما وخاصة في السنوات الأخيرة من هذه الفترة ككتاب بطل الأبطال لمحمد عزام أو كتاب نور اليقين للخضري، ليتعرفوا على تاريخهم المشرق ويقتدوا بأعلامه، ويتأسوا بأعمالهم العظيمة، وأخلاقهم الفاضلة وسلوكهم الرفيع، فيساعدهم ذلك على تعميق العقيدة في نفوسهم، وتمكنها من أقوالهم وأعمالهم والثبات عليها مع مرور الزمن.

وما أجمل أن يقوم الوالدان بتحفيظ وترديد أناشيد تتعلق بسيرة النبي ﷺ مثل هذا النشيد البسيط:

محمد نبينا..... وأمه آمنا

أبوه عبد الله..... مات ما رآه

أخلاقه القرآن..... والرحمة المهداة

عمت على الأكوان

رابعاً: متابعة تعليم الطفل القرآن الكريم وحفظه:

فبعد أن تعرف الأولاد على بعض سور القرآن الكريم وحفظوها في المرحلة الأولى، يجب على الوالدين السعي لتحفيظ أولادهما القرآن الكريم كاملاً في هذه الفترة وما بعدها فهي أفضل فترة لحفظ القرآن حفظاً ينغرس في قلوبهم وعقولهم ونفوسهم وكلامهم وأعمالهم وتطبيقاتهم، وبذلك يساعد هذا الحفظ على تمكين العقيدة في أعماقهم وبشكل يقيني لما في القرآن من نور وعلوم وأدلة تهدي القلب والعقل إلى الله سبحانه.

قال الحافظ السيوطي: تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام فينشؤون على الفطرة ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال.

ولقد كان إسراع الصحابة شديداً في تلقين أطفالهم القرآن الكريم وتشجيعهم لحفظه.

فهذا ابن عباس ﷺ يفتخر في أنه قرأ المحكم على رسول الله ﷺ وهو طفلٌ صغير.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ. [أخرجه البخاري]

والمحكم: هو المفصل وعند الجمهور من سورة الحجرات حتى آخر القرآن.

وقرأت: أي حفظت أي حفظ ما يقارب خمسة أجزاء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((سلوني عن سورة النساء، فإني قرأت القرآن وأنا صغير)). [أخرجه الحاكم في المستدرك]

وأما السلف الصالح رضوان الله عليهم فقد ساروا المسار نفسه، ومشوا على نفس الطريق، جاء في مقدمة كتاب المعلمين: (أنَّ القاضي الورع عيسى ابن مسكين كان يُقْرِئُ بناته وحفيداته: قال عياض فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهنّ القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل من قبله فاتح صقلية أسد بن الفرات بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة).

[كتاب المعلمين لابن سيحون]

وإذا رجعنا إلى سيرة علماء المسلمين والمشهورين منهم وجدناهم قد حفظوا القرآن وهم في سن مبكرة مما ساعدهم على تلقي العلوم الأخرى، وارتفع اسمهم، وعلت منزلتهم، وذاع صيتهم على مر الأيام نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١- الإمام الشافعي رحمه الله يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر. [طبقات الحفاظ للسيوطي]

٢- الإمام البخاري رحمه الله حفظ القرآن وثقف العربية وأجادها وفقه معنى ألفاظها وطلب الحديث في التاسعة من عمره.

[الترغيب والترهيب للمنذري]

٣- ابن سينا لما بلغ عشر سنين من عمره، كان قد أتقن القرآن الكريم.

[وفيات الأعيان ابن خلكان]

٤- سهل بن عبد الله التستري يقول بعد سرد قصته المعروفة: فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته، وأنا ابن سبع سنين.

[الإحياء للإمام الغزالي]

٥- الإمام النووي رحمه الله كان وهو ابن عشر سنين بنـــوى، والـــصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، وكان قد جعله أبوه في دكان فجعل لا يـــشتغل بالبيع والشراء عن القرآن إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الحلم.

[الطبقات الكبرى لابن السبكي]

هذه السن ما بين السابعة إلى الثانية عشرة هي أفضل سن لحفظ القرآن الكريم، والبحث في قدرة الناشئة في هذه السن على حفظ القـــرآن الكـــريم كاملاً يطول، فما أكثر الحفاظ لكتاب الله في هذه السن، وخاصة في زماننـــا الذي انتشرت فيه مدارس لتحفيظ القرآن وعناية المـــربين الـــدعاة بـــذلك، واهتمام الدول الإسلامية ومنظماتها في إقامة حفلات التكريم سنوياً للمتفوقين في حفظ القرآن الكريم:

(في عام ١٩٩٥م أجريت في مصر مسابقة تحفيظ القرآن الكريم اشترك فيها ٢٥٠ شاب من ١٢٠ دولة جاؤوا إلى مصر من مختلف أنحاء العالم، ليتنافسوا في حفظ كتاب الله تعالى إلى جانب مئة ألف متسابق من مصر، وكان من بين المتفوقين طفل عمره ست سنوات كفيف البصر تفوق على مئة ألف متسابق مصري، وطفل آخر عمره سبع سنوات يحفظ القرآن كاملاً ويفوز بالجائزة الأولى). [مجلة منار الإسلام أبو ظبي العدد الحادي عشر من السنة العشرين]

والمتابع اليوم للمحطات الفضائية التي تهتم بتحفيظ القرآن الكريم يشاهد ويسمع أطفالاً صغاراً ذكورا وإناثاً قد حفظوا القرآن الكريم علـــى أعلـــى مستوى فهم يحفظون الآية ومن أيّ سورة وفي أي جزء وفي أي صفحة وما قبلها وما بعدها وما شابهها من سور أخرى وإلى غير ذلك مـــن التفـــنن في الحفظ والإتقان.

وما أجمل أن يتحاور الوالدان مع أولادهما في معاني القرآن ونداءاته ووصاياه وإرشاداته ويعملان على تطبيق ذلك في سلوك أفراد الأسرة، مرتبطين بالقرآن وما فيه ليكون مع الحفظ تطبيق للمحتوى، ولو حاور الوالدان أطفالهما في ذلك لوجدا العجب العجاب.

حكي أن أبا يزيد البسطامي عندما كان طفلاً صغيراً حفظ الآية القرآنية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ (المزمل: ١—٢).

فقال لأبيه: من الذي يقول الله تعالى له هذا؟

قال والده: يا بني ذلك النبي محمد ﷺ.

قال أبو يزيد: يا أبتِ ما لك لا تصنع كما صنع النبي ﷺ.

قال الوالد: يا بني إن قيام الليل خصص به النبي ﷺ وفرض عليه دون غيره، فسكت عنه، فلما حفظ قوله سبحانه: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ (المزمل: ٢٠).

قال أبو يزيد: يا أبتِ إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل فمن هذه الطائفة؟.

قال الوالد: يا بني أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال أبو يزيد: يا أبتِ فأي خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه؟.

قال الوالد: صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي.

فاستيقظ أبو يزيد فإذا بأبيه يصلي، فقال أبو يزيد: علمني كيف أتطهر وأصلي معك؟.

قال الوالد: يا بني ارقد فإنك صغير بعد!

قال أبو يزيد: يا أبتِ إذا كان يوم القيامة:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ (الزلزلة: ٦).

أقول لربي: إني قلت لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك فأبى وقال لي: ارقد فإنك صغير بعد! أتحب هذا؟.

قال الوالد: لا والله يا بني ما أحب هذا، وعلمه فكان يصلي معه.

[أنباء نجباء الأبناء]

أليس حرياً بالوالدين في هذا الزمان الاهتمام الشديد بتحفيظ أولادهما القرآن الكريم وتشجيعهم على الدخول في الدورات المختلفة إلى جانب الاهتمام الذاتي بأبنائهم وبناتهم حتى يتفوقوا في ذلك وهذا يساعدهم كثيراً في الثبات أمام هجمات التحلل العقدي، والانحلال الأخلاقي وفي الثبات على العقيدة، والاستقامة عليها.

وينبغي للوالدين أن يعتقدا أن الوقت الذي يصرف في سبيل ذلك لا يؤثر في تفوق أولادهما في دراستهم ومدارسهم وكذلك صرفهم وقتاً طويلاً في اللعب والمرح وبقية شؤون الحياة لأن الله ﷻ يبارك لهؤلاء الأطفال في أوقاتهم ويحفظهم من شرور الإنس والجن وإضاعة الوقت بما لا طائل له.

ومن الواجب على الوالدين الإكثار من تلاوة القرآن أمام أولادهما، ولاسيما قبل الصلاة أو بعدها، وخصوصاً عند صلاة الفجر.

والولد الذي يرى أباه حريصا على قراءة القرآن يدرك قيمة هذا القرآن وقيمة تلاوته، والوالد المحسن للتربية هو الذي يرشد أبناءه إلى تلاوة القرآن، ويساعدهم في ذلك.

ومن واجب الوالدين تجاه أولادهما ذكوراً وإناثاً ألا يقتصر تشجيعهم على الحفظ فقط بل يجب تشجيعهم على التلاوة آناء الليل وأطراف النهار والمنافسة في ختم القرآن، وإعادة الختم وتعزيز ذلك بأساليب كثيرة مادية ومعنوية.

وهذا ويجب أن يكون لكل واحد من أفراد الأسرة مصحفاً خاصاً به يُظهر كل واحدٍ منهم مدى سبقه في الحفظ أو التلاوة مع توجيهه إلى طريقة المحافظة على هذا المصحف واحترامه وتقديره، والمكان المناسب لوضعه فيه مع تقبيله وتبجيله والتأدب بآداب تلاوته وحفظه.

حبذا أن يكون في الأسبوع يومٌ يلتقي فيه جميع أفراد الأسرة ليقوم كل منهم بتلاوة صفحة مع تصحيح الوالد للأخطاء والقيام بشرح للألفاظ مع شرح مبسط للمعنى.

لو حافظت كل أسرة على هذه الجلسة لوجدوا جميعاً أن هذه الجلسة هي أفضل جلسات الحياة لما فيها من أنوار، وتجليات ورابطة دينية، وأنوار ربانية، ومعانٍ إيمانية، وسرور لا يوصف، وانشراح للصدور، وطمأنينة في القلوب، ورضا علام الغيوب.

ولا بأس هنا أن نمر على الطريقة المثلى التي يجب أن يتبعها الوالدان عند قيامهما بتحفيظ أولادهما القرآن الكريم وهي كما يلي:

١- تقديم مقدمة عامة عن السورة الصغيرة وأسباب نزولها أو الآيات التي يريد حفظها.

٢- قراءة السورة الصغيرة بكاملها أو الآيات التي يريد تحفيظها أمام الطفل وعلى مسامعه.

٣- الشرح العام لمعاني السورة الصغيرة أو الآيات التي يريد حفظها.

٤- القراءة آية آية أمام الطفل وترديد ذلك من قبله.

٥- الاستماع إلى ما ثبت في ذهن الطفل شيئاً فشيئا مع تصحيح أخطائه.

٦- الاستماع إلى الطفل وهو يتلو السورة الصغيرة بكاملها أو الآيات المقرر حفظها، وعندها يكون الطفل قد حفظ الآيات المطلوبة.

ولا بأس من أن ينشد الوالدان مع أطفالهما بعض الأناشيد التي تحبب إليهم تعلم القرآن الكريم وحفظه، مثال:

أول حفظي

أول حفظي حين بدأت ... آخر جزءٍ في القرآنِ
خير كلام فوق لساني ... سهل في لفظٍ ومعانِ
حين حفظت كلام الله ... أحسست بكلِ اطمئنانِ
من يحمل آياتِ القرآن ... يحيا في خيرٍ وأمانِ
وملأت الصدر بآيات ... تطرد وسوسة الشيطانِ
قلبي للقرآن محبٌ ... أكثر من كل الخلانِ
فإذا فاز بجزء منه ... زاد الشوق لجزء ثانِ
هو في قلبي لا أنساه ... وأردده كل أوانِ
لو أني بمكان فيه ... تتلى آيات الرحمنِ
أجلس في صمت ووقار ... وخشوع يملأ وجداني
يتلو الشيخ فأسمع منه ... ويردد قلبي ولساني
إن كلام الله شفاءٌ ... وهو دواء للأحزانِ

ومن أفضل ما يقوم به الوالدان في هذه السن البحث عن أقرب مسجد فيه دورات لتحفيظ القرآن الكريم فينسبون أولادهما إليها مع المتابعة اليومية لما حفظ

الطفل، والاستماع لمحفوظاته وتصحيح أخطائه وترغيبه بحفظ ما تيسر له من الحفظ ليقوم بتسميعه للمشرفين عليه في تلك الدورات في اليوم التالي، مع تعزيزه مادياً ومعنوياً وبأساليب متعددة ليسرع في الحفظ المبكر مع الإتقان.

وما أجمل أن يقدم الوالدان بطاقة تعريف يرددها الطفل في مناسبات متعددة قائلاً:

إن سألتم عن إلهي فهو رحمان رحيم

أو سألتم عن كتابي فهو قرآن كريم

أو سألتم عن نبي فهو إنسان عظيم

أو سألتم عن عدوي فهو شيطان رجيم

خامساً: تعريف الطفل الحلال والتمسك به والحرام والابتعاد عنه:

ينبغي للوالدين تعريف أولادهما الحلال والحرام في كل قضية من القضايا التي تعرض لهم، ليشعروا أنهم محاطون بشريعة وأحكام تنظم كل شؤون حياتهم، ولزوم مدحهم على التزامهم بالحلال وتشجيعهم عليه، ومعاتبتهم على فعل الحرام وتأنيبهم عليه، لكي يزرعا في قلوب الأطفال حب الأعمال الصالحة وبغض الأعمال غير الصالحة.

وأن يعمل الوالدان على تقوية الضمير في نفس الطفل في هذه المرحلة حتى يكون صمام أمان في هذه المرحلة. فيزرع في نفسه الخوف من ارتكاب العمل غير الصالح والشوق إلى العمل الصالح، بدل الخوف من العقوبة أو الشوق إلى المدح أو الإطراء.

فبعد فترة من المران والتكرار على تحبيب الحلال وتبغيض الحرام يصبح عند الطفل حاسة خاصة فيتطلع إلى أن يعرف حكم الله في كل قضية أو أمر يقوم به، فيسأل عن حكم كُلِّ ما يراه ويسمعه، وهذا الإحساس هو حجر الزاوية الأساسي في استقامة الولد في المستقبل إن شاء الله.

وينبغي للوالدين أن يرغبا أطفالهما في تطبيق أحكام الحلال والحرام على أنفسهم ويسعيا في ترغيبهم في الانتباه إلى إخوتهم ومن حولهم لينشؤوا على حب الأمر بالمعروف والنهي على المنكر، وأن يغرسا في نفوس أولادهما ذلك.

وإن من أهم ما ينبغي للوالدين تمسكهما بالحلال والابتعاد عن الحرام في كل شؤون حياتهما، وأن يكون ذلك نابعاً من أعماقهما وأن يكونا قدوة صالحة لأولادهما، وإن لم يكن ذلك فلن يجدي التوجيه والنصح في هذا الموضوع أبداً.

سادساً: تعليم الطفل الآداب الإسلامية(انظر منهج التربية النبوية للطفل تأليف: محمد نور سويد):

إن سعي الوالدين لترسيخ الآداب الإسلامية في هذه السن له أهمية كبرى، ففي هذه الفترة يتم غرس الآداب، وعند إهمال الوالدين لذلك فلن ينصاع الأولاد إلى الآداب.

قال سيدنا علي كرم الله وجهه:

حرض بنيك على الآداب في الصغر كيما تقرَّ بهم عيناك في الكبر

وإنما مثل الآداب تجمعها في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر

هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادث الغير

قال الشاعر صالح بن عبد القدوس:

وإن من أدبته في زمن الصبا ... كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقاً ناضراً ... بعد الذي أبصرت من يبسه

ويقول أيضاً:

قد ينفع الأدب الأطفال في صغرٍ ... وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشب

ولقد بين النبي ﷺ أهمية تربية الأبناء والعناية بهم في الحديث الذي رواه جابر بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ**». [أخرجه الترمذي]

ولقد بين النبي ﷺ للوالدين أن أعظم هدية للطفل هي الأدب، وأفضل توريث له هو الأدب الحسن.

روى سعيد بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**». [أخرجه أحمد في مسنده]

لذلك كان علي المديني رحمه الله يقول: (توريث الأولاد الأدب خيرٌ لهم من توريث المال، الأدب يكسبهم المال والجاه والمحبة للإخوان، ويجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة). [تنبيه المغترين للإمام الشعراني]

ولعل بعض الآباء والأمهات يغفل عن أهمية الأدب، ويعده من الأمور البسيطة التي يمكن التساهل فيها أو يجوز تناسيها، وما يدري هذا أنه يهيئ ولده للعقوق، وما علم هذا المسكين أن غرس الأدب حق الولد على أبيه، كواجب حق الطعام والشراب.

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ**». [أخرجه ابن ماجه في سننه]

ولقد وعى السلف الصالح أهمية الأدب ومقداره وسمو رفعته، فربوا أطفالهم عليه فشبوا على ذلك، ونصحوا الأمة بالأخذ به، فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يوجه نداءه للوالدين بخطاب رقيق، ونصيحة عظيمة فيقول: (أدب ابنك فإنك مسؤول عنه ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وهو المسؤول عن برك وطواعيته لك).

وقال بعض السلف لابنه: (يا بني لأن تتعلم باباً من الأدب أحب إليَّ من أن تتعلم سبعين بابا من أبواب العلم).

وقال أبو زكريا العنبري: (علمٌ بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسد).

هذا ومن أهم ما يؤدب عليه الطفل الأدب مع الوالدين وبره بهما، وأهم ما ينبغي للوالدين في هذا الموضوع أن يؤدبا أطفالهما على ما يلي (انظر التربية الإيمانية والنفسية للأولاد للشيخ يوسف خطار محمد):

١- أن يعود الطفل أن يذكر والديه عند الخطاب بألفاظ الاحترام مثل أن يخاطبه بقوله: يا أبت، يا أبي، يا أمي.

٢- أن لا يُحِدَّ النظر لوالديه وخاصة عند الغضب.

٣- أن لا يمشي الطفل أمام والديه بل يمشي بجانبهما أو خلفهما.

٤- إذا رأى أحد الوالدين يحمل شيئاً يسارع في حمله عنه، إذا كان حمله في مقدرته.

٥- إذا خاطب الطفل أحد والديه عليه أن يخفض صوته، وإذا تحدث إليه أحدهما ألا يقاطعه، وأن يستمع إليه حتى ينهي كلامه معه، وألا يجادلهما أو يعاندهما أو يلومهما أو يسخر منهما وألا يتقهقه بشدة أمامهما.

٦- إذا دخل عليه أحد والديه الحجرة أو البيت وكان راقداً يقوم ويجلس احتراماً له، وإذا كان جالساً وخاطبه فيقوم ويحدثه وهو قائم، ولا يحدثه جالساً وأبوه واقف.

٧- إذا دخل على أحد والديه البيت أو الحجرة فينبغي عليه إلقاء السلام وأن يقبل يديهما، وإذا ألقى أحدهما عليه السلام فيرد عليه وينظر إليه مرحباً.

٨- أن يستشير الطفل والديه في جميع الأمور، وأن يستفيد من رأيهما وتجربتهما ويقبل نصائحهما.

٩- أن يعود الطفل إذا خرج أحد والديه من البيت لأي سبب أن يقول له: مع السلامة وحفظك الله يا أبي أو يا أمي.

١٠- أن يعود الطفل أن يلبي حاجات والديه ويسرع في إحضارها.

١١- أن تعود الطفلة مساعدة والدتها في بعض شؤون البيت أو تهيئة مائدة الطعام.

١٢- أن يعود الطفل من الإكثار من الدعاء لوالديه والاستغفار لهما، والطلب من الله أن يجزيهما كل خير على فضلهما وإحسانهما وتربيتهما.

١٣- تعويد الطفل إذا أراد دخول غرفة الوالدين أن يقرع الباب ولا يدخل إلا بعد الاستئذان وإذا كان أحدهما نائماً لا يقلقه بحركة أو صوت ولا يوقظه إلا بحاجة لهما.

١٤- تربية الطفل على مساعدة والديه في الأعمال، وأن لا يتأفف من طلباتهما، وأن لا يأخذ شيئاً من حاجاتهما إلا بعد أخذ الأذن منهما.

١٥- وما أجمل أن يحفظ الأولاد قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٤).

وما أجمل أن يتعلم الطفل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما من رجل ينظر إلى وجه والديه نظر رحمة إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة). [أخرجه الرافعي]

هذه بعض آداب بر الوالدين وهناك آداب كثيرة.

كذلك ينبغي للوالدين تعليم أولادهم آداب المعاملة مع الآخرين كالعلماء والإخوة والأقارب والجيران.

وتعليمهم آداب الاستئذان وآداب الطعام والشراب واللباس وغير ذلك من الآداب.

وينبغي للوالدين أن يحرصا في هذه السن على ربط الطفل بمؤدب عاقل وموجه كريم ذي دين بصير برياضة التربية حاذقٍ بمعاملة الأطفال وقورٍ رزين بعيد عن الخفة والسخف، غير صلب ولا جامد ذي إيمان وعقل ومعرفة ومروءة ونزاهة.

وهذه عادة جرى عليها سلفنا الصالح فكل منهم كان يسعى إلى ربط ولده بمربٍ مناسب وكانوا يدفعون إليه الأموال الطائلة لما له من أهمية وأثر في تربية الأطفال.

ولقد منّ الله علينا في هذا البلد بدعاة مربين ذكوراً وإناثاً يشرفون على تربية الأولاد، فما أحرى الوالدين أن يسعيا للبحث عنهما وتأمين الصلة بهما ومتابعة أولادهما في ذلك.

وحريٌ بكل الآباء والأمهات بل وبكل المربين الرجوع إلى كتاب: (الآداب الإسلامية للناشئة) وهو في ثلاثة أجزاء والجزء الأول منه يناسب هذه السن، فينبغي للوالدين وضع هذا الكتاب بين يدي كل طفل في هذه المرحلة وتدارسه معه ومحاولة حفظ بعض آدابه والآيات الواردة فيه والأحاديث الشريفة.

سابعاً: توجيه الطفل نحو الأخلاق الإسلامية والتخلق بها:

وقد أشار إلى هذا الموضوع كبار العلماء المربين، ومنهم أبو حامد الغزالي في إحيائه وابن القيم في كتابه أحكام المولود حيث قال: (ومما يحتاج إليه الطفل أشد الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره: من حَرَدٍ، وغضبٍ، ولجاجٍ، وعجلةٍ، وخفةٍ في هواه، وطيشٍ، وحدةٍ، وجشعٍ، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفاتٍ وهيئاتٍ راسخةً له، فإن لم يتحرز منها غاية التحرز فضحته لابد يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم من قبل التربية التي نشأ عليها).

وقد حض العلامة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر سابقاً رحمه الله في كتابه السعادة العظمى على أهمية استغلال فترة الطفولة في غرس الأدب والخلق الحسن فقال: (إنّ الصبي يولد على الفطرة الخالصة، والطبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه الساذجة بخلق من الأخلاق نُقشت صورتها في لوحها، ثم لم تزل تلك الصورة تمتد شيئاً فشيئاً إلى أن تأخذ بجميع أطراف النفس وتصير كيفية راسخة فيها، حائلة لها عن الانفعال بضدها، يؤيد هذا

أننا إذا رأينا في الغرباء من هو لطيف الخطاب، جميل اللقاء، مهذب الألمعية، لا نرتاب في دعوى أنه ممن أنبته الله في البيوت الفاضلة نباتاً حسناً).

وأهم ما يربي الوالدان أطفالهما عليه خلق الصدق، وتجنب الكذب، وخلق الأمانة، وخلق سلامة الصدر من الأحقاد، وخلق الحلم والبعد عن الغضب، وخلق حسن المعاملة مع الآخرين وعدم الاستهزاء بهم أو احتقارهم أو غيبتهم أو سبابهم أو حسدهم أو الحقد عليهم إلى غير ذلك من الأخلاق.

هذا وقد ألفت كتاباً تحدثت فيه عن الأخلاق الإسلامية للناشئة، وجعلته أيضاً في ثلاثة أجزاء والجزء الأول يناسب هذا السن، فواجب الوالدين وضع هذا الكتاب بين يدي كل طفل في هذه المرحلة، وتدارسه معاً، ومحاولة حفظ بعض أخلاقه والآيات والأحاديث الواردة فيه، مع القصص المتعلقة به.

ثامناً: تربية الطفل تربية اجتماعية:

ينبغي للوالدين تنشئة أطفالهما نشأة تتناسب مع الوسط الاجتماعي الذي يعيشونه، وأن يحسنوا التكيف معه ليكونوا فعالين بعيدين كل البعد عن الانطواء والخجل المذموم، وأن يحسنوا الأخذ والعطاء مع الآخرين بأدبٍ واحترام.

هذا ومن أهم أسباب هذه التنشئة أن يختار الوالدان لأطفالهما الأصدقاء الخيرين حيث إن الأطفال لابد لهم من الأصدقاء في مثل سنهم، وهي حاجة ضرورية في أعماقهم من أجل تبادل الكلام واللعب وغير ذلك.

لذلك ينبغي للوالدين أن يحسنوا اختيار الصديق الصالح لأطفالهما، وعليهما أن يراقبا هذه الصداقة، ويشجعان عليها.

وهذا وإن الصحبة تلعب دوراً كبيراً في التأثير على شخصية الطفل فالصديق مرآة لصديقه، لذلك وجب على الوالدين اختيار الصديق الصالح

لولدهما، ليتحدث إليه ويسامره، ويلعب معه، ويتبادل معه أمور المعرفة ويكتسب منه الأخلاق الفاضلة والعادات الحميدة والصفات الرفيعة، فالطفل يحاكي ويقلد فإذا اختلط بأطفال على شاكلته من حيث الخلق والتنشئة الصالحة الإسلامية كان ذلك أدعى إلى ترسيخ كل جميل في قلبه فلن يتغير شيءٌ مما تعلمه من إيمان صحيح وعادات إسلامية رائعة وخلق إسلامي هادف.

ولقد لفت رسول الله ﷺ الأنظار إلى أثر الصاحب في صاحبه ونبه إلى ضرورة البحث عن الصاحب المناسب الذي يرشد إلى الدين الصحيح والأخلاق الفاضلة.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**». [أخرجه أبو داود في سننه]

كما بين رسول الله ﷺ أثر الجليس في جليسه فقال: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**».

[أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري]

وفي هذا يقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فإن كان ذا شر فجانبه سرعة وإن كان ذا خير فقاربه تقتدي

- ومن وصية ابن سينا في تربية الولد:

(أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية حسنة آدابهم، مرضية عادتهم، لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس).

هذا وإن من أهم الأمور في التنشئة الاجتماعية القويمة تعويده احترام الآخرين، وحسن الكلام معهم والتأدب معهم، والإسراع إلى السلام عليهم، وتلبية طلباتهم وخاصة إخوته وأقاربه وجيرانه ومعارف والديه وأرحامه.

ومن التنشئة الاجتماعية الصحيحة أيضاً استصحابه إلى المسجد، واحترام العلماء، وتقبيل أيديهم، وحسن الإصغاء إلى دروسهم.

وكذلك اصطحاب الأطفال عند شراء الحاجات ليتعودوا الشراء، وطرق المعاملة مع أصحاب المحلات، وتبادل النقود، ومعرفة ماهيتها، وطريقة استعمالها.

ومن التنشئة الاجتماعية القويمة أيضاً أن يتعلم الطفل كيف يتعامل مع معلميه وأساتذته ومع إخوته وأصدقائه ومع الأطفال الآخرين، بأدب حسن، وخلق كريم، إلى غير ذلك من العلاقات الاجتماعية الأخرى.

ومن التنشئة الاجتماعية أيضاً اصطحابه إلى الحفلات والمناسبات وفي الأعياد والزيارات وتعليمه كيف يتعامل معها، وما هي العادات التي يجب أن يعتادها ويتعامل بها مع الآخرين، وكيف يتحدث إليهم ويتبادل الأفكار معهم.

تاسعاً: الاهتمام بتعليم الطفل ومتابعته في ذلك:

ينبغي للوالدين أن يهتما بتعليم أبنائهما في هذه السن وما قبلها، وأن يحسنا اختيار المدرسة التي يتلقون فيها العلم، وتجب متابعة الطفل في واجباته، والجلوس معه عند أدائها مع مراقبته وتوجيهه، ومساعدته على تخطي العقبات خاصة في العلوم التي لا يرتاح إليها.

كما ينبغي للوالدين أن يشجعاه على المطالعة ويوفرا له الكتب المناسبة والمتعددة له، وحبذا أن يخصصا له مكتبة يضع فيها كتبه، والمجلات المناسبة

لسنه، وحبذا أيضاً أن نقرأ له إن كان لا يجيد القراءة وأن نستمع إليه إن كان يجيدها لتصحيح أخطائه وتعليمه السرعة في القراءة، ومحاورته فيها، وأخذ الخلاصة والعبرة من كل قصة يقرؤها.

وعندما يرى الوالدان تفوق طفلهما في علم من العلوم عليهما مساعدته في هذا التفوق، وإحضار كتبٍ تصل به إلى الإبداع.

فإن أظهر الطفل مللاً أو ضعفاً من مادة ما ينبغي للوالدين أن يساعدا طفلهما على فهم هذه المادة وعلى حبها وعلى إزالة الخوف منها.

عاشراً: الاهتمام بالبناء الصحي للطفل (انظر منهج التربية النبوي للطفل تأليف محمد نور سويد، ونحو تربية إسلامية راشدة محمد بن شاكر الشريف):

اهتم الإسلام بصحة الإنسان عامة، وبصحة الطفل خاصة، وقد حرص في توجيهاته الكثيرة على المداواة والمسارعة إليها، لأنها من الأمور الأساسية المتعلقة بصحة الجسم وسلامته، وباعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان لذا وجب المحافظة على هذه الأمانة حتى جعل الإسلام المداواة من قدر الله الذي يمحو قدر الله الذي حل بالإنسان، وهو المرض.

عن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﷻ». [أخرجه مسلم]

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ قَالَت الأَعْرَابُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ نَتَدَاوَى قَالَ: «**نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلاَّ دَاءً وَاحِدًا**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ قَالَ: «**الْهَرَمُ**».

[أخرجه الترمذي]

وعَنْ أَبِى خُزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّه شَيْئًا قَالَ: «**هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّه**». [أخرجه الترمذي]

وبما أن الأطفال الصغار يكونون عرضة للأمراض أكثر من غيرهم، ولا يدركون بصورة حسنة وضعهم الصحي أو العناية به، وجب على الوالدين أن يتفقدا أولادهما، ويراقبا صحتهم ويعتنيا بهم.

رأى رسول الله ﷺ أجسام أبناء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه نحيفة نحيلة فقال لأسماء بنت عميس (وهي والدهم): «**مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ**».

قَالَتْ: لاَ وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ.

قَالَ: «**ارْقِيهِمْ**»، قَالَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**ارْقِيهِمْ**».

[أخرجه مسلم]

الضارعة: نحيفة الأجسام.

وهذا يدل على اهتمام النبي ﷺ بالأطفال وصحتهم، فقد سأل عن سبب نحافتهم، وأرشد إلى ما يجب فعله.

كما أرشد النبي ﷺ إلى العناية بنظافة الأطفال وحُسْنِ هيأتهم فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلاَثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: «**لاَ تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ**».ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي**».

فَجِيءِ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ فَقَالَ: «**ادْعُوا لِي الْحَلاَّقَ**». فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُؤُوسَنَا.

[أخرجه أبو داود في سننه]

هذا وإن النبي ﷺ نبه في هذا الموضوع إلى عدم الْقَزَعِ، والْقَزَعُ: قص جزء من شعر الطفل وترك جزء آخر، وهذا له أكثر من صورة يعمل بها حتى الآن (وهذا ما يسمى الآن بالحلاقة الإنكليزية)، فقد نهى رسول الله ﷺ عنها.

عن ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ ﷺ نَهَى عَنِ الْقَزَعِ، قَالَ: قُلْتُ لِنَافِعٍ، وَمَا الْقَزَعُ قَالَ يُحْلَقُ بَعْضُ رَأْسِ الصَّبِيِّ وَيُتْرَكُ بَعْضٌ. [أخرجه مسلم]

فينبغي للوالدين ألا يسمحا لأولادهما بذلك بحجة أنهم صغار، وهم غير مكلفين، وينبغي للوالدين أن يتخيرا لأولادهما جيد اللباس من غير أن يُلبس الذكرَ الحرير أو الذهب.

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا نَنْزِعُهُ عَنِ الْغِلْمَانِ وَنَتْرُكُهُ عَلَى الْجَوَارِي.

[أخرجه أبو داود في سننه]

(أي الحرير).

وعن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عوف أنه دخل مع عبد الرحمن على عمر وعليه قميص من حرير وقلبان (مثنى قلب وهو السوار) من ذهب، فشق القميص، وفك القلبين، وقال: اذهب إلى أمك. [أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف]

وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: أَتَاهُ ابْنٌ لَهُ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ مِنْ حَرِيرٍ، وَالْغُلامُ مُعْجَبٌ بِقَمِيصِهِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ خَرَقَهُ، ثُمَّ قَالَ: (اذْهَبْ إِلَى أُمِّكَ فَقُلْ لَهَا فَلْتُلْبِسْكَ قَمِيصًا غَيْرَ هَذَا). [أخرجه الطبراني في الكبير]

عن سعيد بن جبير قال: قدم حذيفة بن اليمان من سفر وقد كسي ولده الحرير فنزع منه ما كان على ذكور ولده وترك منه ما كان على بناته.

[أخرجه ابن أبي شيبة]

من هذه الأحاديث نستنتج أهمية عناية الوالدين بلباس وهيئة أطفالهما، وضرورة أن يكون ذلك ضمن الشرع، وألا يغلبهما حب أطفالهما فينصرفا إلى الزيادة في تزيينهم دون التقيد بالشرع.

وكما يجب الانتباه إلى عدم تمييع أخلاق الأطفال الذكور كذلك يجب عليهما الاهتمام بهذا الموضوع عند الإناث وبصورة أكبر من خلال مراعاة التقيد بالملابس الشرعية لهنّ وهنّ طفلات صغيرات، لتكون الملابس ساترة للعورة غير مظهرة لصدر الطفلة أو ظهرها أو ما فوق ركبتيها، مما يظهر من موديلات حديثة تظهر المفاتن عند الصغار، فإذا ما ربيت الطفلة على الستر والحياء منذ صغرها تعودت ذلك عند كبرها، وإلا فإن الأمر سيسهل عليها عند كبرها، وسوف تمتنع من ارتداء الملابس التي تسترها عند كبرها.

لذلك ينبغي ألا تسيطر على الأم خاصة العاطفة أو العادة السيئة في محاولة إظهار بناتها على هيئة جذابة، وإنما همها تربية بناتها حتى في ملابسهنّ على شرع الله وسنة نبيه.

هذا ويجب على الوالدين أن يتبعا القواعد الصحية في تربية أطفالهما لتكون بنية الأطفال قويةً مقاومة للأمراض، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: تشجيع الأطفال على الرياضة وتعليمهم السباحة.

ثانياً: تعويد الطفل سنة السواك حتى يتعود الطفل وهو صغير تنظيف أسنانه بشكل منتظم مستمر.

ثالثاً: الاهتمام بنظافة جسم الطفل وتقليم أظافره.

رابعاً: تعويد الطفل السنن النبوية في الأكل والشرب.

خامساً: تعويد الطفل النوم على الشق الأيمن مع قراءة ما ورد في السنة النبوية في ذلك، وتعويده النوم الباكر والاستيقاظ المبكر.

سادساً: إبعاد الأطفال عن الأمراض المعدية بتحذيرهم من زيارة الأرحام والأصدقاء المرضى عملاً بقول النبي ﷺ: «**لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**».

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

كذلك على الوالدين إبعاد أطفالهما الأصحاء عن المريض من إخوته.

سابعاً: المحافظة على التطعيمات المخصصة للأطفال في مواعيدها المحددة دون تأخير.

ثامناً: الاهتمام بطعام الأطفال ونوعه ومواعيده، وإبعادهم عن الأطعمة السيئة التي تؤثر سلباً في الصحة والأغذية المكشوفة التي تباع في الطرقات والأطعمة التي تسمى الأكلات الطيبة الملونة التي تسبب أمراضاً.

تاسعاً: رقية الأطفال من العين الحاسدة والجن وهذا من الطب النبوي، فقد أورد النووي رحمه الله تعالى في كتابه الأذكار باباً: ما يعوذ به الصبيان وغيرهم.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «**إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ**».

[أخرجه البخاري]

قال النووي، قال العلماء: الهامَّة: هي كلُّ ذات سمٍ يقتل كالحية وغيرها.

أما العين اللامَّة: فهي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَمِعَ صَوْتَ صَبِيٍّ يَبْكِي فَقَالَ: «**مَا لِصَبِيِّكُمْ هَذَا يَبْكِي فَهَلاَّ اسْتَرْقَيْتُمْ لَهُ مِنَ الْعَيْنِ**».

[أخرجه أحمد في مسنده]

وهناك فائدة نأخذها من عمرو بن العاص الصحابي الجليل حيث كان يكتب المعوذات ويضعها في وسادة الصغير.

عاشراً: السرعة في معالجة الطفل المريض، وذلك بأخذ الطفل المريض فوراً إلى الطبيب حتى لا يستفحل المرض، وهذا ما كان عليه النبي ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: عَثَرَ أُسَامَةُ بِعَتَبَةِ الْبَابِ، فَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، أَمِيطِي عَنْهُ الأَذَى (الدم)، فَقَذِرْتُهَا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمَصُّ شَجَّتَهُ وَيَمُجُّهَا، وَيَقُولُ: «**لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً، لَحَلَّيْتُهُ وَكَسَوْتُهُ، حَتَّى أُنْفِقَهُ**». [أخرجه أبو يعلى في مسنده]

عن عطاء بن يسار قال: كان أسامة بن زيد قد أصابه الجدري أول ما قدم المدينة وهو غلام بمخاطة تسيل على فيه فتقذرته عائشة فدخل رسول الله فطفق يغسل وجهه ويقبله فقالت عائشة: أما والله بعد هذا فلا أقصيه أبداً.

[أخرجه الواقدي وابن عساكر في جامع الأحاديث]

كذلك ينبغي للوالدين أن يسرعا في إحضار الدواء اللازم، ومتابعة تعليمات الطبيب دون إهمالٍ أو تأخير أو انقطاع عن الدواء حتى يتم الشفاء بإذن الله تعالى.

❁ ❁ ❁

خامساً: الفترة مابين الثانية عشرة إلى السابعة عشرة

(فترة المراهقة)

وهي مرحلة تسمى في الإسلام سن البلوغ أو الحلم أو التكليف، ويطلق على هذه المرحلة من أطوار حياة الإنسان اسم المراهقة، وإذا كان الغرب يعدون أن هذه السن هي سن الطيش والتمرد، فإن الإسلام يعدها سن التكليف وبلوغ الرشد، وتحمل مسؤولية المحاسبة، والفرق بين النظريتين هو أن نظرية الإسلام تعتني بالطفل منذ ولادته، فينشأ نشأة إسلامية صحيحة، فإذا ما بلغ هذا السن، فإنه يقطع هذه المرحلة مستمراً على ما ربي عليه دون تغيير يذكر أو انحرافٍ يظهر.

يقول عالم النفس (ستاربك): (إذا لم يحدث التحول الديني قبل العشرين، فقلما يحدث بعد ذلك).

ويقول علماء النفس: (تتحرك غريزة التدين، وتظهر زمن البلوغ، وتحدث أكثر ما تحدث بين العاشرة والخامسة والعشرين من عمر الإنسان).

وقبل كل هؤلاء ورد في كتب السيرة أن النبي ﷺ وصى بالشباب فقال: (أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق افئدة، لقد بعثني الله بالحنيفية السمحة فوافقني الشباب وخالفني الشيوخ).

كما نبه ﷺ إلى مترلة الشاب الملتزم فقال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ.... – وذكر منهم– وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ**».

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

تذكيراً بصعوبة الدور الذي يؤديه الشاب في المحافظة على نفسه، ونقاء صدره وجسده وروحه ضمن المتغيرات الاجتماعية والأخلاقية، وفورة الشباب واندفاعه وحيويته، وفي هذا الشأن يقول رسول الله ﷺ:

«إن الله ﷻ ليعجب من الشاب ليست له صبوة».

[أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه]

وكما يظهر ذلك من خلال ما ذكر القرآن عن أمثال هؤلاء الشباب في هذه السن: كإسماعيل الذبيح عليه السلام الذي تربى في أحضان أمه، وبإشراف من أبيه، فعاش أولاً حامياً محافظاً على والدته، ثم مساعداً لوالده في بناء الكعبة، وجاءه أمر الله ﷻ، فاستمع إلى القرآن يحدثنا عن ذلك: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الصافات: ١٠٢).

جاء في تفسير القرطبي: قال الفراء: كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة.

وكذلك حدثنا القرآن عن يوسف الصديق، وامتحاناته الكثيرة، وخاصة وهو في هذه السن حيث عرضت عليه الشهوة والمتعة الجنسية، وسعت إليه، ولم يسعَ هو إليها، وكانت كل العوامل مهيأة لأن يقبل مثل هذا لو كان ضعيف الإيمان، لكن تربية والديه في الصغر كانت قد عمقت الإيمان في قلبه مع محبة الله ﷻ والخوف من معصيته.

يوسف هذا كان شاباً، وعنده فتوة الشباب وجماله وعنفوانه، فهو شابٌ غريبٌ عن وطنه ليس هناك من يعرفه، وليس هناك من يلومه، وهو عزبٌ ليس عنده زوجة تعفه ليستغني بها، والتي دعته إلى نفسها ليست امرأة من

عرض الطريق إنما هي امرأة ذات منصبٍ وجمال، فهي امرأة العزيز، وهي سيدته، وهو مملوكها وفي بيتها، ولم تكن فتنة يوسف عارضة، في لحظة طارئة، ولكنها فتنة تراوحه وتغاديه، وتصابحه وتماسيه، لقد دعته إلى نفسها، ولم تكتفِ بالتلميح حتى دخلت في باب التصريح، وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف: ٢٣)، ولكن يوسف عليه السلام رفض كل ذلك بإباء وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (يوسف: ٢٣)

كان عليه السلام مخيراً بين محنتين محنة في دينه أن يرتكب المعصية، ويكون من الفاسقين، ومحنة في دنياه أن يسجن، ويكون من الصاغرين، فآثر محنة الدنيا على محنة الدين، وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ (يوسف: ٣٣)

وقد علم النبي ﷺ كل شاب أن يقول: «**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا**». [أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما]

ويحدثنا القرآن الكريم عن فتية أهل الكهف المتمسكين بعقيدتهم، الذين ابتعدوا عن فسق مجتمعهم، وهم شبابٌ في سن المراهقة لم يتأثروا وهم في هذه السن بشهوة أو غريزة، وإنما كان توجههم نحو دينهم وربهم تحدث القرآن عنهم فقال: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ (الكهف: ١٣).

وفي سيرة النبي ﷺ أمثلة كثيرة عن شباب في مثل هذه السن، قد حملوا مسؤولية الدعوة والجهاد في أعلى مستوياتها، ولم يتأثروا كما تأثر غيرهم ممن هم في هذه السن بالانحراف والبعد عن الدين، ولقد كان أكثر من كان حول رسول الله ﷺ من هؤلاء الشباب.

- **سعد بن مالك** رضي الله عنه والذي لم يتجاوز من العمر السابعة عشر كان أحد الدعاة النشيطين في تلك المرحلة العصيبة.

- **مصعب بن عمير** رضي الله عنه الذي كان زينة شباب مكة وأعطرها تتبادر الفتيات إليه في هذه السن سن البلوغ، سن المراهقة لقد دخل الإيمان في قلبه، وتمكن حب الله ورسوله في أعماقه، فترك مفاتن الشباب وزينته، والتجأ إلى الله ونبيه ﷺ، فكان الداعية الشاب، وأول سفيرٍ إلى المدينة فكان أول مبلغ للإسلام في المدينة المنورة بعثه الرسول ﷺ إليها بالرغم من أن مصعب كان في ريعان الشباب فأسلم على يديه المؤمنون الأوائل في المدينة المنورة الذين استقبلوا النبي ﷺ فيما بعد وآووه ونصروه.

أسامة بن زيد رضي الله عنهما عينه النبي ﷺ قائداً لجيشٍ كبير أحد جنوده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حربهم ضد الروم، وكان لأسامة من العمر ثمانية عشر عاماً، قال زيد بن ثابت: «كانت وقعة بعاث وأنا ابن ست سنين، وكانت قبل هجرة رسول الله ﷺ بخمس سنين، فقدم رسول الله ﷺ المدينة، وأنا ابن إحدى عشرة سنة، وأتي بي إلى رسول الله ﷺ فقالوا: غلام من الخزرج قد قرأ ست عشرة سورة، فلم أجز في بدر، ولا أحد، وأجزت في الخندق».

[أخرجه الحاكم في المستدرك]

وقال ابن عمر: وكان زيد بن ثابت يكتب الكتابين جميعا كتاب العربية، وكتاب العبرانية، وأول مشهد شهده زيد بن ثابت مع رسول الله ﷺ

الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان فيمن ينقل التراب يومئذ مع المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنه نعم الغلام**» وغلبته عيناه يومئذ، فرقد، فجاء عمارة بن حزم، فأخذ سلاحه وهو لا يشعر، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**من له علم بسلاح هذا الغلام ؟**»، فقال عمارة بن حزم: أنا يا رسول الله أخذته فرده، «فنهى رسول الله ﷺ أن يروع المؤمن، وأن يؤخذ متاعه لاعباً وجداً». [أخرجه الحاكم في المستدرك]

- **وغيرهم من الصحابة الشباب كثر**: عبد الله بن عمر، عبد الله بن عباس، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن جعفر، الحسن والحسين ﷺ، وغيرهم من شباب الإسلام صحابة رسول الله ﷺ كانوا في سن المراهقة و لم يتأثروا بالشهوات بل كانوا مندفعين إلى حفظ القرآن وحفظ أحاديث النبي ﷺ، مسارعين في جهاد الدعوة والإيمان.

ومن يطلع على سير أئمة العلوم الإسلامية من علماء الفقه والحديث وغير ذلك يجد أنهم كانوا شباباً في سن المراهقة حفظوا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأتقنوا العلم، وحملوه بصدقٍ وإخلاص، ودون جنوح المراهقة والشباب.

والمراهقة عند علماء النفس تَدَرُّجٌ نحو النضج البدني والعقلي والانفعالي والجنسي، أما البلوغ فهي يقتصر على ناحية واحدة من نواحي النمو، وهي الناحية الجنسية، فالبلوغ إذاً هو العلامة البارزة لبداية مرحلة المراهقة، وفي هذه المرحلة يظهر عند الذكر والأنثى تغيرات متعددة في الشكل والصوت،و في الرغبات والميول توجب على الوالدين الانتباه لها، والعناية بها حتى تمر بسلام دون عقد أو انطواء أو تشتت أو خوف أو شذوذ أو انحراف أو غير ذلك من

أمراض المراهقة التي قد تظهر عند المراهق أو المراهقة، وخاصة في هذا الزمان وما فيه من وسائل اتصالٍ متعددة تثير الغريزة والشهوة عند هؤلاء المراهقين.

إن مرحلة المراهقة هي أهم المراحل الأساسية في حياة الإنسان وتتبوّأ واسطة العقد.

مرحلة المراهقة هي مرحلة الشباب، والشباب في اللغة من شب وهذه اللفظة تدل على الحداثة والفتوة والقوة والنشاط والحركة والزيادة والنماء، وفيها قالوا من شب على شيء شاب عليه.

إن مرحلة الشباب هي ربيع عمر الإنسان الزاهر يتمناه الشائب، فهو دائماً يتغنى فيقول:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

– يتمتع الشباب بطاقة هائلة، وقدرات جبارة، وحيوية فريدة، وفعالية متحركة، ونشاط دائم، وتفتح متقد، كما يتمتع بالنضارة التي تمنح المجتمع جماله وابتسامته وإشراقه، وتغرس فيه الأمل والطموح والتفاؤل.

– الشباب عدة الحاضر وأمل المستقبل، وهم عماد الأمة، وريحانة الدولة، وذخيرة الوطن، وزهرة الشعوب، وعلى أكتافهم تبنى الحضارات، وتقام الصروح، وبعقولهم المستنيرة ترتقي المعارف، وتظهر المخترعات، ويتوقف على نشاطهم تحقيق الآمال الجسام.

– يسيطر على الشباب العواطف الجامحة، والشهوات الغريزية التي تبلغ أوجها بينما يكون النمو العقلي والفكري لديهم في بداية الطريق أو منتصفه.

– تظهر في مرحلة الشباب عدة مظاهر تميزها من غيرها مثل الزهو، وحب الظهور، ومحاولة إثبات الذات، والكبرياء والغرور، والميل إلى مخالفة

المألوف من التقاليد والعادات والآداب، أو التمسك بها عقيدة وسلوكاً، والسعي إلى الخروج على تحركات المجتمع الرتيبة.

- كما يظهر على الشباب المرح، وحب اللهو، وعدم المبالاة بعواقب الأمور، واللجوء إلى القوة المادية على الفكر والعقل، والمنطق والروية.

- ويصدر من الشباب التهور والجموح، مع السطحية غالباً بمعرفة الأمور ومعالجتها، كما يتسم الشباب بالطموح والتضحية، والفداء وإنكار الذات.

[انظر الإسلام والشباب تأليف الدكتور محمد الزحيلي]

نصيحة للوالدين تتعلق بهذه المرحلة:

(لعل من أصعب فترات حياة الإنسان على وجه البسيطة هي فترة المراهقة الأولى التي تمتد من الثانية عشرة حتى السابعة عشرة، وهي فترة يمر بها الإنسان بتغيرات جسدية ونفسية هامة.

فمن حيث التغيرات الجسدية تظهر في هذه الفترة رجولة الرجل وأنوثة المرأة، ويكبر جسد كل منهما، ويسير نحو معالمه المكتملة.

ومن حيث التغيرات النفسية تتضح شخصية الولد سواء كان ذكراً أم أنثى، وتكتمل له عناصر الاستقلال والاعتداد والتشوف بالنفس والثقة بها، والإعجاب بما يملك، حتى أن بعض الأولاد يرى نفسه في هذه المرحلة أجمل الناس، وأروعهم وأوسعهم فكراً، وأعظمهم تدبيراً، وأحسنهم سلوكاً، وأشدهم صواب رأي..... إلخ.

ومن منا لم يمر بهذه المرحلة، ولم تهب عليه رياحها.

إن هذه المرحلة خطيرة في جزيئاتها وكلياتها، ومبنية على دقة شديدة ومتناهية، والأهل الذين وفقهم الله ﷻ هم الذين يستطيعون الأخذ بيد

أولادهم إلى شاطئ السلامة في هذه الفترة، فهي من أشد الفترات تأهيلاً للشذوذ، والانحراف، والخروج عن إرادة الأبوين، والإساءة إلى سمعة الأسرة والعائلة، والسير في طريق منحرفة معوجة.

وفي رأينا أن الأهل الذين ينجحون في تربية أولادهم في الفترتين السابقتين لن يجدوا كبير عناء في هذه الفترة، لأنهم وضعوا الأساس الصحيح لبناء نفسية أطفالهم، فهم يكملون إرواء النبتة، حتى تستوي على سوقها، ويضيفون إلى جهدهم السابق جهداً آخر فتؤتي الجهود ثمارها.

أما الذين أهملوا تربية أولادهم فإنهم لا ريب سيعانون في هذه الفترة عناء كبيراً في توجيه أولادهم أو ضبط سلوك تصرفاتهم وإن ضاع بعض هؤلاء الأولاد فتلك خسارة ما بعدها خسارة، فالولد بضعة من الوالدين، وما أقسى أن يخسر الإنسان جزءاً من ذاته).

[انظر كيف يربي المسلم ولده تأليف محمد سعيد مولوي]

في هذه الفترة يجب أن ينتبه الوالدان إلى أهمية نمو الشعور العاطفي، فيوجهان هذا الشعور نحو ما يحفظه، ويبعده عن نطاق والديه، ومن أهم مظاهر هذا الشعور العاطفي الاتجاه نحو التدين لما في التدين من غنى روحي وإعطاء طاقة نفسية كبيرة فإذا ما اعتني بالمراهق في هذه المرحلة اتجه اتجاهاً دينياً، واندفع نحوه اندفاعاً كبيراً.

لذلك وجب على الوالدين اختيار الأصدقاء الصالحين للمراهق، والسعي لوضعه بين يدي مربٍ مختصٍ وخاصة في هذه السن ليلازمه في أوقات فراغه، مراعياً متطلبات الحياة الحديثة بجو ممتلئ برغبات المراهقين من هذه الوسائل الحديثة التي يجب استغلالها بطريقة صحيحة جمةٍ فوائدها مقيدةٍ بالشريعة

والدين، وتمسكٍ بالقرآن والسنة بالإضافة إلى الاهتمام بالرياضة والسباحة الإسلامية إلى جانب غيرها من وسائل الترفيه المباحة، مع الاهتمام الشديد بالعقيدة الإسلامية والعاطفة الإيمانية والآداب والأخلاق الإسلامية.

كيف يستطيع الوالدان الوصول بأبنائهما المراهقين إلى بر السلام بسلام

مهمة الوالدين في هذا الزمان في تربية أبنائهما، وخاصة في سن البلوغ أصبحت شاقة وصعبة، فهما الوحيدان المسؤولان عن تربية أولادهما حيث عدمت روافد التربية من المجتمع والمدرسة.

فمن أراد أن يكون له أولاد قرة عين له وجب عليه الاهتمام الشديد بأولاده، وبذل جهد كبير لذلك، وأن يعطيهم من وقته ما يكفي لتربيتهم، والإشراف عليهم، وخاصة في هذه السن الصعبة العسيرة، وفي هذا الزمان الذي تعددت فيه وسائل التأثير والتربية والتغيير.

كما يجب عليه دراسة حاجات هذه السن، وكيفية التعامل معها للوصول إلى ما يصبو إليه من تربية أولاده.

هذا وإن من أهم الواجبات الملاقاة على الوالدين في هذه السن من أجل تربية أفضل ما يلي:

أولاً: إن التربية الإسلامية والإشراف الكامل والمتابعة المستمرة الصحيحة قبل هذه السن تساعد كثيراً في تجاوز هذه المرحلة بشكل سليم دون انحراف.

ثانياً: إن الاهتمام المستمر من الوالدين بالمراهق،ومتابعة تربيته كما يجب هو أيضاً ضمان السلامة لهذا المراهق.

ثالثاً: ينبغي للوالدين دراسة أحوال المراهقة من مصادر إسلامية لمعرفة ما يجري في هذه السن من تغيرات متعددة، وطريقة التعامل معها.

رابعاً: يجب على الوالدين مصارحة أبنائهما في سن المراهقة بالتغيرات الحاصلة لهما في هذه السن، وأنها شيء طبيعي يمر بها كل إنسان، وأن ذلك مما يسرهما لأنه من علائم البلوغ، وأن فرحتهم بهم كبيرة لأنهم سيصبحون يافعين يعتمد عليهم، هذا وإن من أهم واجبات الأم في هذه المرحلة –وهي القريبة أكثر لقلوب الأبناء ذكوراً وإناثاً– تعليم أولادها فرائض إسقاط الحدث الأكبر (الجنابة) وسننه وكل ما يتعلق بفقه هذه المرحلة من غسل وغير ذلك مع تسهيل وتيسير أدائهم الغسل مع عدم الحياء من ذلك.

خامساً: ينبغي للوالدين مساعدة أبنائهما في تخطي المنغصات التي تحدث بفعل هذه التغيرات عند المراهقين، كتغير الصوت أو شكل الجسم أو ظهور البثور أو غير ذلك من الأمور مع التوضيح أن ذلك شيء طبيعي في هذه المرحلة، كذلك تسهيل أمر الاحتلام عند الذكور، والحيض عند الإناث، مع إرشادهم إلى ما يجب على المراهق فعله تجاه ذلك دون اضطراب أو خوف مع توضيح السلوك السليم في ذلك.

سادساً: ينبغي للوالدين دراسة ومعرفة أهم ما يحدث في هذه المرحلة عند المراهق من مشاكل ومعاناة، وكيفية حلولها فكثيرٌ من المراهقين ذكوراً وإناثاً يشعرون بالتعب الشديد بسبب التغيرات السريعة التي تحدث في أجسامهم، وكثيرٌ من الفتيات يصبن بألم وصداع وتوتر في الأعصاب وألم في الثديين عند حدوث الطمث، فيصبحن أقل حيوية، وأكثر قابلية للتعب والملل والعصبية.

وكثير من المراهقين يعانون من إفراط الحساسية، وتغلب العاطفة على سلوكهم مما يعرضهم لكثير من المشاكل النفسية التي كثيراً ما تؤدي إلى الاكتئاب.

كذلك تتميز العاطفة عند المراهق بعدم الاستقرار والتوازن مع كثرة التردد والتقلب، وغير ذلك من الأمور مما يستدعي معرفة الوالدين بكل هذه المعاناة ومحاولة معالجتها بالحكمة والروية ومساعدة المراهق لتخطي كل ذلك بنجاح وسلام.

سابعاً: إن متابعة اصطحاب الوالدين للمراهق لمجالس العلم والعلماء والقرآن والذكر له أثره الكبير في اجتياز المراهق هذه المرحلة بسلام.

ثامناً: ينبغي للوالدين مساعدة المراهق على اختيار أصدقائه المناسبين مع الإشراف على صداقته، وتأمين حاجاته، ومتابعتهما فإن ذلك له الأثر الكبير في مرور المرحلة بسلام لأن من أهم حاجات المراهق الأصدقاء.

تاسعاً: يمر المراهق في أحيان كثيرة بمشاعر وأحاسيس متضاربة تجعله يتصرف كالمجنون لذلك يجب على الوالدين تفهم حالاته، ومعالجتها بهدوء دون انفعال فهو سريع التغير والتبدل.

عاشراً: إن القدوة الحسنة في الوالدين لها في هذه السن أثرٌ كبير في توعية المراهق وتربيته واتباعه لهذه القدوة فلذلك ينبغي للوالدين الانتباه لتصرفاتهما وكلامهما بما يتناسب مع الشرع والدين، وبما يتناسب مع القدوة والتربية.

حادي عشر: إن حسن المعاملة مع المراهق من قبل الوالدين والإخوة وتقديره واحترامه والاستماع إلى آرائه ومحاورته بهدوء ومناقشته بطريقة سليمة، مع عدم الاستهتار به أو تأنيبه بكلمات جارحة أو تنقيصه أو الاستهزاء به كل ذلك له أثرٌ كبير في النجاح في هذه المرحلة.

ثاني عشر: إن استثمار طاقات المراهقين من قبل الوالدين في أوجه النشاطات المختلفة كحفظ القرآن أو الاشتراك في الإنشاد أو التمثيل الإسلامي الدعوي أو الخطابة أو دورات القرآن أو الرحلات الجماعية مع الأصدقاء الصالحين له أثرٌ كبير في عدم انحراف المراهقين

ثالث عشر: إن توجيه الوالدين لأبنائهما ومراقبتهما لإبعادهم عن العادات السيئة في الجلوس إلى التلفاز أو أدوات التواصل الحديثة المحرمة، والمنهي عنها في الشرع، مع الابتعاد عن المدخنين وعدم مصاحبتهم، وكذلك عن أصدقاء السوء أصحاب الكلام الفاحش البذيء والبعيدين عن الدين، والتأكيد على عدم مصاحبة من يعرف بالعادات الشاذة أو من يتعاطى المخدرات والمسكرات أو يرتكب المعاصي والآثام.

هذا التوجيه مع المراقبة الدائمة له أهميته الكبرى في تخطي المراهق هذه المرحلة الخطيرة، ثم التأكيد على المعالجة بحكمة وروية دون تهديد ولا وعيد ولا عنف ولا غضب عند ظهور أول انحراف عند المراهق فإن ذلك يساعد على إرجاعه إلى طريق الصواب، أما إن أهمل واستفحل الأمر فقل أن يرجع المراهق إلى جادة الصواب.

رابع عشر: ينبغي للوالدين أن لا يقلقا من تمرد المراهق أو عناده لأن ذلك من طبيعة المراهق لكن من الواجب عليهما معرفة كيفية التعامل مع المراهق عند ذلك، وعدم التصادم معه أو ضربه (المراهق لا يضرب) أو إهانته بكلمات جارحة أو تسفيه آرائه، وإنما بالحوار الهادئ والاحترام لرأيه، ومناقشته بموضوعية، فإن ذلك سيعالج كل ما نراه عند المراهق في هذه السن من عادات سيئة، وبحسن المعالجة سيزول ذلك بسرعة، وسوف يتغير في المستقبل.

خامس عشر: ينبغي للوالدين تأمين الراحة والاستقرار للمراهق بتأمين ركن خاص به في البيت، إلى جانب توجيه إخوته الصغار والكبار إلى ضرورة احترامه وحبه وتقدير مشاعره وحسن التعاون معه وعدم تمييز غيره من الإخوة عليه.

سادس عشر: ينبغي للوالدين عدم التدخل في شؤون المراهق في كل صغيرة وكبيرة، وإنما يراقبانه عن بعد، ويتدخلان عند الضرورة القصوى، فالمراهق يترعج من أسئلة تتردد على لسان الوالدين كثيراً مثل: لماذا تأخرت؟ أين كنت؟ مع من كنت؟ لماذا ترتدي هذا البنطال؟، لا تستعمل هذا العطر؟، لماذا لا تذهب معنا إلى بيوت الأقارب؟... إلى غير ذلك.

فالمراهق ينظر إلى نفسه أنه قد أصبح كبيراً، ويجب ألا يعامل معاملة الأطفال، والمراهق لديه شعور صادق بأنه يحتاج إلى نوع من الاستقلال، وخاصة في الأمور التي تخصه مثل ملابسه وشعره وكتبه وما إلى ذلك.

فإذا كانت تصرفاته لا تتعدى حدود الشرع، فيجب التغاضي عنها، وإلا كان التدخل بحوار وهدوء وتعزيز إيجابي للانتقال للأفضل.

سابع عشر: قيل في المثل: (إذا كبر ابنك فآخِه) فينبغي للوالدين أن يشعرا المراهق بذلك عن طريق الحوار والتعزيز ومشاركته برأيه في أمور البيت حتى تعزز نفسيته، ويشعر بأهميته، وإذا كان لابد من نصح أو إرشاد أو تنبيه أن يكون ذلك بعيداً عن الآخرين في مجلس خاص، وبمحاكمة عقلية، وروية وحكمة.

ثامن عشر: إن من أهم الأمور التي يجب أن يهتم بها الوالدان كثيراً في تربية أبنائهما الذكور والإناث في هذه المرحلة ملاحظة التغيرات الجنسية، وما

يتعلق بها من أحاسيس ومشاعر ورغبات، فينبغي للوالـــدين في هـــذه الفتـــرة الإكثار من أحاديث الخوف من الله ﷻ والتمسك بشرعه، وتوجيهات القرآن الكريم وإرشادات المصطفى ﷺ في ذلك، وخاصة في موضوع عدم الاخـــتلاط بين الجنسين، والابتعاد عن رفاق السوء، وخاصة المرضى في مثل هذه الأمور، ومراقبة الله في السر والعلانية والخوف من عقابه، والبعد عن معصيته، وحفـــظ السمع والبصر واللسان، وجميع الأعضاء من المعاصي والآثام.

[راجع ما يتعلق بهذا الموضوع في كتابنا منهج الإسلام في تزكية النفس في بحث معالجة أمراض الشهوة ص٢٧٩].

وهناك كتابٌ خاص للفتيات من مؤلفاتي أيضاً وهو من أهم الكتب التي يجب أن يحرص الوالدان على اقتناء بناتهن هذا الكتاب، وخاصـــة في ســـن المراهقة، وعنوانه [الوصايا القيمة لكل فتاة مؤمنة].

❁ ❁ ❁

سادساً: الفترة بعد السابعة عشر

(فترة المراهقة الثانية)

- إن الشباب الذين يجتازون مرحلة المراهقة الأولى، وقد كتب الله ﷻ لهم التوفيق والحفظ، فتجاوزوا الامتحانات المتعددة التي واجهتهم، وثبتوا على الإيمان والاستقامة على شرع الله، وصانوا أنفسهم عن الانحراف أو الانجراف في المهالك والشهوات، والغرائز والرغبات، نستطيع أن نقول إنهم تجاوزوا المرحلة الخطيرة والدقيقة والمعقدة من حياتهم، والأمل منهم في المرحلة القادمة من حياتهم أن يستمروا على الطريق المستقيم والنهج القويم، وألا يتغيروا ولا يتبدلوا مهما مرت عليهم عواصف الشهوات وريح الرغبات.

- ولكن ينبغي للوالدين مع ذلك ألا يهملا متابعة أمور أولادهما واحتياجاتهم ودراستهم ومستقبل حياتهم، وتوجيههم إلى أفضل الأمور مع تقديم أفضل المساعدات الممكنة لهم، لتأمين مستقبلٍ زاهرٍ لهم في حياتهم الدنيوية والأخروية، مع تأمين ما يمكن تأمينه وحسب الإمكانيات لمساعدتهم في الوصول إلى الزواج الإسلامي الذي تحدثنا عنه في أول أبحاث هذا الكتاب، من أجل بناء أسرة إسلامية جديدة لتكوين لبنة جديدة في بناء المجتمع الإسلامي المتمسك بعقيدته ودينه.

- وعندها سيتمتع الوالدان بأحفاد وأسباط يجددون الحياة لهما ويدخلون فيها سروراً جديداً وأملاً متجدداً.

- وهكذا تستمر الحياة، ويستمر تتابع الأسر الإسلامية، ويستمر الدين عالياً خفاقاً لكل بقعة من بقاع الأرض إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، ثم

يكون اللقاء هناك في عالم الآخرة في الجنة إن شاء الله تعالى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ (النساء: ٦٩).

- هذه أهم الإرشادات والوصايا والأفكار والأبحاث التي وفقني الله ﷻ للحديث عنها من أجل أن أقدم المساعدة للوالدين، للوصول إلى تربية إيمانية قرآنية نبوية ليكون الأبناء قرة عين لوالديهم.

- لكني أقول هذا ما يجب فعله، لكن الموفق هو الله ﷻ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فمع كل ما يبذله الوالدان من اتباع طرائق التربية السليمة وبالشكل الذي مر معنا مع كل ذلك ينبغي للوالدين، وبشكل دائم الالتجاء إلى الله ﷻ في ساعات القرب والمناجاة، وفي أوقات النفحات والأعطيات سائلين المولى الكريم أن يجعل أولادهما قرة عين لهما: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان: ٧٤)

- اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول والنصح والتوجيه ويتبعون أحسنه.
- اللهم اهدنا لتربية أولادنا تربية كاملة صحيحة ترضى عنها يا رب العالمين.
- اللهم أعنا على تربية أولادنا وتولَّ أنت حفظهم وتربيتهم.
- اللهم اهدنا إلى محابك من الأعمال، وارزقنا فضلك وعنايتك وتوفيقك.
- اللهم أبعد عن أولادنا أصدقاء السوء وأهل السوء وكل ما يسوء.
- اللهم اختم بالصالحات أعمالنا نلقاك وأنت راضٍ عنا برحمتك يا أرحم الراحمين.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين وخير المربين القدوة للعالمين.

المؤلف المربي:

د.محمد خير فاطمة

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- كتب تفاسير القرآن المتعددة.
٣- كتب الأحاديث الشريفة المتعددة.
٤- كتب السيرة النبوية المتعددة.
٥- كتب التراجم المتعددة.
٦- الصحوة القرآنية، محمد الحجار.
٧- وصايا الرسول، سعيد يوسف أبو عزيز.
٨- الهدي النبوي، عبد الله سراج الدين.
٩- أهداف التربية الإسلامية، د. ماجد عرسان الكيلاني.
١٠- فلسفة التربية الإسلامية، د. ماجد عرسان الكيلاني.
١١- منهج التربية الإسلامية، د. ماجد عرسان الكيلاني.
١٢- سعادة الأبناء، محمد الفحام.
١٣- أساليب الدعوة والتربية، زياد محمود العاني.
١٤- حول التربية والتعليم، أ.د. عبد الكريم بكار.
١٥- تربية الأولاد في الإسلام، د. عبد الله ناصح علوان.
١٦- علموا أولادكم محبة رسول الله، د. محمد عبده يماني.
١٧- أولادنا أ.د. محمود محمد عمارة.
١٨- من أجل تربية أفضل، يحيى محمد نبهان.
١٩- إلى شباب المسلمين، سيد عبد الماجد الغوري.
٢٠- دور التنشئة الأسروية، د. أسامة محمود الدعاس.
٢١- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد.
٢٢- تربية الأبناء طريق إلى الجنة، يحيى محمد نبهان.
٢٣- نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف.
٢٤- الرسول المعلم، عبد الفتاح أبو غدة.
٢٥- التربية الترويحية، أحمد أبو سمك.
٢٦- فن الإشراف، د. يحيى الغوثاني.
٢٧- منهاج المتعلم، أبو حامد الغزالي.
٢٨- إضاءات في تربية الأبناء، رجاء أبو صالح.
٢٩- تربية الأطفال في رحاب الإسلام، محمد حامد النصار.

٣٠- التربية الإيمانية والنفسية للأولاد، يوسف خطار محمد.
٣١- تربية الأولاد والآباء، د. المبروك عثمان أحمد.
٣٢- مشكلات ابنتي المراهقة، نشوة العلواني.
٣٣- تربية المراهق، د. محمد السيد محمد الزعبلاوي.
٣٤- أولادنا أكبادنا، د. إكرام ومحمد رضا بشير.
٣٥- المنهج الإسلامي في التربية الجنسية، د. عبد الحافظ القبيسي.
٣٦- التربية في الإسلام، د. أحمد فؤاد الأهواني.
٣٧- المنهج النبوي لتربية الطفل، د. عبد الباسط محمد السيد.
٣٨- أيها الآباء، د. محمد نجدات المحمد.
٣٩- تربية البنات، علي فكري.
٤٠- كيف تربي طفلاً، محمد عبد المنعم.
٤١- تربية الأولاد والناشئة، يوسف علي بديوي.
٤٢- كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي.
٤٣- مسؤولية التربية الجنسية، عبد الله علوان.
٤٤- أيها الولد، محمد أبي حامد الغزالي.
٤٥- الطريق إلى الولد الصالح، وحيد عبد السلام بالي.
٤٦- يا بنتي، علي الطنطاوي.
٤٧- يا بني، علي الطنطاوي.
٤٨- الإسلام والشباب، د. محمد الزحيلي.
٤٩- همسة في أذن شاب،د. حسان شمسي باشا.
٥٠- همسة في أذن فتاة، د. حسان شمسي باشا.

- إلى جانب المؤلفات السابقة للدكتور محمد خير فاطمة في هذا الموضوع، وأهمها:

١- منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ.
٢- منهج الإسلام في تزكية النفس.
٣- الجواهر الإيمانية.
٤- الأخلاق الإسلامية للناشئة.
٥- الآداب الإسلامية للناشئة.
٦- تعلم الفقه مع أويس.
٧- الوصايا القيمة لكل فتاة مؤمنة.
٨- البرنامج اليومي للمسلم الحق.
٩- معرفة الله.
١٠- الزواج المبارك.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

- آيات وأحاديث ٣
- الإهداء..... ٤
- المقدمة..... ٥
- مسؤولية الوالدين في التربية ٩

أولاً: القدوة الحسنة في الوالدين ١٥

ثانياً: المحبة والرحمة والمودة للأولاد ٢٢

١- تعليمهم إفشاء السلام وحثهم عليه..... ٢٥

٢- إظهار محبتهم بتقبيلهم ٢٦

٣- مسح رأس الطفل وخديه ٢٧

٤- حسن استقبال الطفل ٢٧

٥- تفقد أحوال الطفل ٢٨

٦- بذل الهدايا والمكافآت للطفل..... ٢٩

٧- الرفق بالأولاد عند وقوعهم في خطأ ما ٣٠

ثالثاً: الاهتمام بتربية الأولاد عن طريق اللعب..... ٣٥

- توجيهات خاصة للوالدين بالنسبة للعب أطفالهم ٤٨
- ما فوائد اللعب عند الأطفال ٥٠
- ما هي شروط اللعب عند الأطفال ٥١
- نصائح للوالدين فيما يتعلق بألعاب الفيديو ٥٢
- تعامل الأطفال مع التلفاز..... ٥٣

- حسن استغلال الوالدين لطفولة أبنائهم..... ٥٦
- أمل المسلم في تربية أولاده..... ٧٢
- أولاً: التربية في مرحلة الجنين ٨٣
- ثانياً: التربية في مرحلة الولادة إلى الحولين..... ٨٨

١- الطلق والولادة..... ٨٨

٢- حقوق الوليد ٨٩

أولاً: استحباب التأذين في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى..... ٨٩

ثانياً استحباب تحنيك المولود عندما يولد والدعاء له ٩٠

ثالثاً: العقيقة ٩٢
رابعاً: حلق رأس المولود والتصدق بوزن شعره ٩٥
خامساً: ختان المولود ٩٦
سادساً: ثقب أذن البنت ٩٦
سابعاً: تسمية المولود ٩٧
٣- التربية في مرحلة الحضانة إلى الرضاعة ٩٨
- ثالثاً: تربية الطفل ما بين السنتين إلى السابعة ١٠١
أولاً: تكرار تلقين الطفل كلمة التوحيد ١٠٢
ثانياً: تعريفهم بالله ﷻ ١٠٢
ثالثاً: ترسيخ محبتهم لرسول الله ﷺ ١٠٧
رابعاً: ربطهم بالقرآن الكريم وتحفيظهم بعض سوره ١٠٩
خامساً: تعويدهم طلب الحلال والابتعاد عن الحرام ١١١
سادساً: تعويدهم بعض الآداب الإسلامية ١١٢
سابعاً: تعويدهم بعض الأخلاق الإسلامية ١١٢
- رابعاً: التربية في الفترة ما بين السابعة إلى الثانية عشرة ١١٤
أولاً: تهيئة الطفل لأجواء العبادة ١١٦
ثانياً: بناء العقيدة السليمة عند الطفل ١٣٠
ثالثاً: تعميق محبة النبي ﷺ في نفوسهم ١٤٣
رابعاً: متابعة تعليم الطفل القرآن الكريم وحفظه ١٤٩
خامساً: تعريف الطفل الحلال والتمسك به، والحرام والابتعاد عنه ١٥٦
سادساً: تعليم الطفل الآداب الإسلامية ١٥٧
سابعاً: توجيه الطفل نحو الأخلاق الإسلامية والتخلق بها ١٦٢
ثامناً: تربية الطفل تربية اجتماعية ١٦٣
تاسعاً: الاهتمام بتعليم الطفل ومتابعته في ذلك ١٦٥
عاشراً: الاهتمام بالبناء الصحي للطفل ١٦٦
- خامساً: الفترة ما بين الثانية عشرة إلى السابعة عشرة (فترة المراهقة الأولى) ١٧٢
- سادساً: الفترة بعد السابعة عشر (فترة المراهقة الثانية) ١٨٦
المراجع ١٨٩
الفهرس ١٩٢